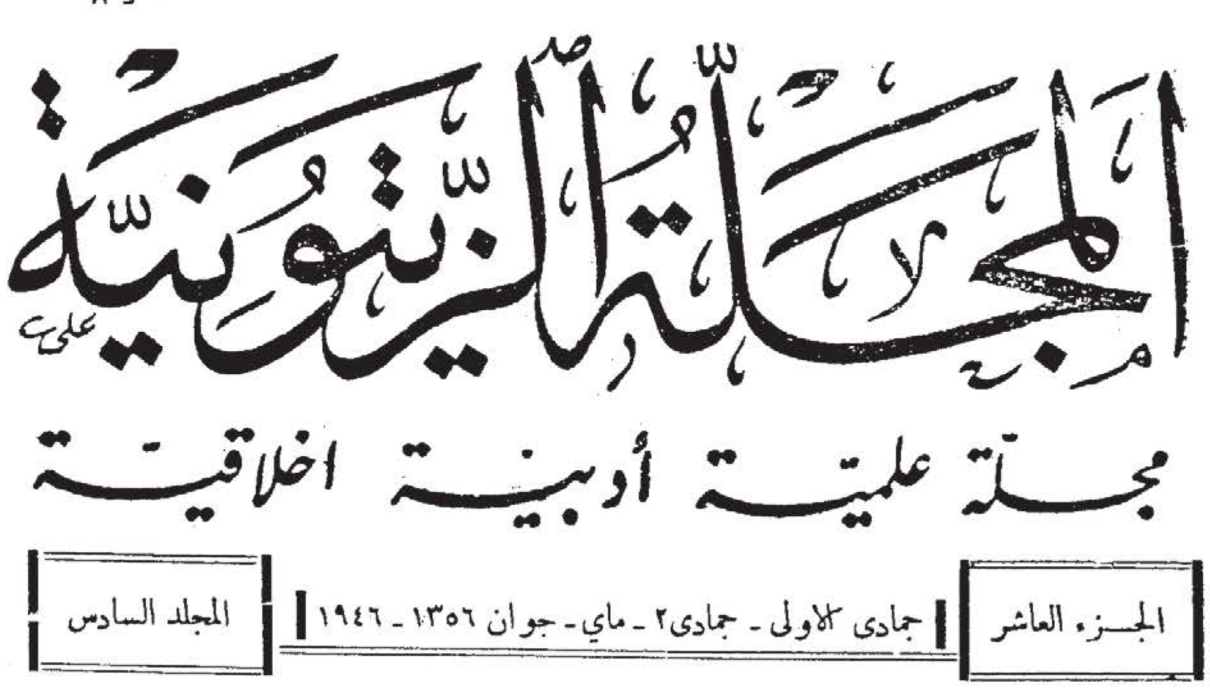
عدد ٨



المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية

الجزء العاشر | جمادى الاولى - جمادى٢ - ماي - جوان ١٣٥٦ - ١٩٤٦ | المجلد السادس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس

تليفون ٢٦-٤٩

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جار مع ادارة البريد بباب سويقة ٣٤٢٢

فهرس العدد



مطبعة الارادة ـ تونس

عـدد ٨



مجلة علمية أدبية اخلاقية

جمادى الاولى ـ جمادى ٢ ـ ماى ـ جوان ١٣٥٦ ـ ١٩٤٦

الجزء ١٠

المدير محمد الشاذلي ابن القاضي

المجلد السادس

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي ابن القاضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة

والخطيب الاول بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس

تليفون ٢٦-٤٩

المراسلات :

ترسل باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جار مع ادارة البريد ٣٤٢٢

الشعب التونسي يطلب التحرير

بعد حرب الحرية

مضت سنة كاملة على انتهاء الحرب وقد انتقلت الامم التي خاضت غمارها من حرب السلاح ضد العدو الذي دامت مقاومته ما يقرب من ست سنوات انتقلت منها الى حرب سياسية لا يعلم احد مداها . ولم تكن هذه الحرب بين اعداء الامس بل بين الامم التي انتصرت على خصمها وقلمت اظفاره وحطمت معاقله ونزعت سلاحه ، فنراها تعقد المؤتمرات وتشكل اللجان وتبعث المندوبين للمفاوضات وفي كل ذلك تزداد نار الحرب السياسية تأججا وعلى الاخص بين الدول العظمى التي انتهى اليها التحكم في مصير جميع امم العالم وفي كل آن وعقب كل اجتماع ترفع الامم الصغيرة رؤوسها متطلعة لمصيرها وما سيكون عليه امرها وعلى الاخص الامم الضعيفة التي كتب لها ان تعيش ردحا من الزمن يحكمها الاستعمار المحكوم عليه في هذا العصر بالزوال والاضمحلال وتبر على ايدي رجال تفطنوا قبل سواهم الى ان هذا العصر لا يليق باهله ان يحفظ لهم التاريخ عارا ومنقصة كان سجلها لاهل العصر الماضي الذين شجعهم الطمع على ارتكاب نقائص دنسوا بها تاريخ حضارتهم ورقيهم العلمي ونعتهم بمثل ما نعتت به الدول القديمة التي تحكمت في طبقات الشعوب ووضعتها تحت كلاكلها فسلبتها عزها وحريتها فباتت بنقص في الانفس والاموال والثمرات وربما هاجر ابناؤها اوطانهم من النير الذي نزل عليهم ونزحوا الى بلدان اخرى تنسموا فيها نسيم الحرية الذي فقدوه في اوطانهم فلما دخلت الامم المنتصرة اليوم الى الحرب وحست بالخطر العظيم الذي هدد كيانها في اول ايام الحرب ادرك زعماؤها ما تعانيه الامم التي غلبت على امرها في العصر الماضي وسلبت منها حريتها وسيطر عليها الاستعمار فقاست منه العذاب الوانا فقرروا في مؤتمرهم التاريخي العظيم القضاء على الاستعمار ! وتمكين جميع سكان العالم من الحرية حتى يعيش الناس جميعا في امن وسلام واخاء وقدر الله ان

يكون ابرام هذا القرار العظيم على انقاء لا على الارض المدنسة بآثام الجبارين والملطخة بدماء الابرياء المظلومين وكان في ذلك اشارة الى بعث الحياة لامم الارض من جديد (وجعلنا من الماء كل شيء حيا) فتنفس الناس الصعداء وحمدوا لهذا القرار وباتوا يتطلعون ليوم النصر يوم يأتيهم بفاتحة عصر جديد طالع فجره رحمة وبشر وضحاه تآلف وتناصر وعشيه تعاون وجد عصر ينعم فيه الناس بحضارة تقوم على سواعد اهل الارض قاطبة ويشارك فيها اهل الارض قاطبة، عصر تعم فيه مدنية العلم طبقات الشعوب ويساعد فيه القوي الضعيف على الالتحاق به ويمهد له فيه السبل وتعبد له الطرق حتى يتمكن من الالتحاق بقافلة الامم السابقة والصعود معها في سلم الرقي.

عصر يسود فيه الحب والولاء ويقضى فيه على التعصب والبغضاء وتتكاتف الشعوب والامم على اقرار سلم دائم بين سكان هذا العالم على قواعد ومبادي عادلة تحفظ للناس مصالحهم وتضمن لهم الحرية في كنف الفضيلة والرحمة ونعومة العيش.

ولكن مضت سنة كاملة والناس في انتظار وترقب وقادة الشعوب في حيرة وتردد ووزراء الدول الكبرى في تناحر وعراك سياسي لم ينتهوا بعد فهل عاد الجشع القديم يسيطر على نفوس رؤساء الامم الغالبة ؟ ذلك هو السؤال الذي يتردد في افواه اهل الارض قاطبة واخذت الحيرة والقلق يسريان الى نفوس الامم وبالاخص الضعيفة منها التي فرحت واهتزت طربا من قرار الامم المتحدة يوم بعثوا مع الاثير صدى اصواتهم يعدون العالم ويعاهدونه ويأمنونه على مستقبله يوم يكتب لهم النصر فنالوا بذلك عطف العالم على قضيتهم بل على القضية المشتركة وهي قضية الحرية والعدالة

مضت سنة لم يقض فيها قضاء يصح ان يكون مثالا لسياسة الامم المتحدة نحو الشعوب التي كانت تحت حكم الاستعمار القديم المحكوم بزواله ولكن لم يعط هذا الحكم للتنفيذ ومازالت امم تئن تحت قيوده . كذلك مثلا هذه المملكة التونسية التي بمقتضى .... رزحت تحت حكم الاستعمار نيفا وستين سنة رغم كونها ذات سيادة واهادولة ما انفك امرها يسير على نحو ما كانت

عليه من قبل بل ربما اشد مما كانت عليه قبل نشوب الحرب فهي مكبلة بقيود لا يستسيغها الحق والعدالة ولم يبق يطيق الشعب تحملها وكل ما حدث هو خارج عن ارادة الشعب ورضاه وحتى الفئة القليلة التي رضيت بالمشاركة في المجالس التي جاء بها النظام الجديد منت نفسها بابلاغ صوت الشعب للمراجع التي تتمكن من مجالستها والحديث اليها بما يطلبه الشعب ولكنها لم تجد المجال فسيحا والاذن صاغية فخاب ظنها ولم تقدر على القيام باي دور وبقيت دار لقمان على حالها. ومندوب الحكومة الحامية يستدعي غير مرة بعض المفكرين ليسمع بعض رغائب الشعب التونسي ليسير في سياسته على ضوئها فاستنتجنا من موقفه هذا أمورا منها انه ادرك ان رغائب الشعب لا يمكن ان يصل اليها من طريق نواب المجالس ولذلك استدعى غيرهم في كل مرة ليعلم الحقيقة التي لا يجدها عند اعضاء المجالس او لا يريد ان يسمعها منهم لألا يعتادوا المجاهرة بمثلها وهذه طريقة لم تجد نفعا ولا غيرت موقفا ولا تحصل منها الشعب على فائدة او حق من حقوقه ولا افادت في نشر الحرية على هذه الربوع التي شارك ابناؤها الامم المتحدة في الضراء وابوا عليها ان تشاركهم في السراء.

واذا كانت هنالك فئة من رجال العصر القديم الذين لا يطيب لهم عيش إلّا اذا كان نيّر الاستعمار متسلطا على هذا الشعب الامين فان هذه الفئة التي مهدت لايقاد نار الفتن حتى نشبت تلك الحرب الضروس بما حاكته في الصدور من فرط جورها وظلمها فلم يبق للساسة شك في سقوط نظريتها مادام الجميع يعلم انها فئة لا يهمها إلّا ما يصل اليها من نعم الحياة على حساب البؤساء والمستضعفين والمظلومين فالى متى يقرأ لهذه الطائفة الحساب ويخشى صولة الذين اقاموا حياتهم الاجتماعية على مبدإ الاستعمار المشؤوم واذا جاز لرؤساء الحكومات الحامية ان يراعوا جانب هؤلاء في سياستهم فانهم سوغوا لانفسهم في نفس الوقت عدم الالتفات لجانب الشعب وما يتطلبه ولم يجد كيف يبلغ صوته وطال به الانتظار والترقب وهو يئن داخل نفسه فمكنوه ليبلغ صوته ويقول الحق في حرية. ومن تربى على مبدأ الحرية يجب ان يسمع المتكلم يتكلم في حرية، ويجب عليه ان يفي بالوعود ويعطي الامة حقها كاملا غير منقوص

محمد الشاذلي بن القاضي

خطاب سماحة الاستاذ الاكبر

شيخ الجـــــامع الاعظـم وفـــــروعه

موسم ختم السنة الدراسيه

سبحان الذي غمرت من لدنه فيوضات النعماء . فجلت عن الاحصاء . وقصر عن شكرها لسان الثناء . احمده حمد موقن بجزيل خيره ، مخلص في التوكل عليه دون غيره . متبرىء له من الاغترار بالقوة والحول مستمد منه العصمة والتوفيق في الفعل والقول . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المؤيد بالعصمة . والباسط لما اوتي من الحكمة صلاة تكون كفاء ما علم بعد الجهالة . وهدى بعد الضلالة . وفتح قلوبا بعد الاغلاق . وفتق انوارا بعد الاطباق وعلى آله واصحابه الذين اقتفوا اثر هديه فانقلبوا ادلة . واستناروا من مدد سناه فطلعوا اهلة .

اما بعد فلو ان اقوم بيان . جرى على افصح لسان . فحاول ان يبرهن على ما للعلم الشريف من القدر النبيه . ومنازل التعظيم والتنويه . لما بلغ مبلغ برهان هذا الجمع المبارك الجليل الذي تجلى فيه ما لهذه الامة السعيدة من التعلق بتعليمها الديني واجلال مقامه . والاندفاع في سبيل معهدها الزيتوني ورفع اعلامه . فهو الموسم العلمي السني الذي يجدد للجامع الاعظم وفروعه كل عام من مهيئات النجاح ، ما تجدد الشمس للارض عند اشراقها كل صباح . اذ تبدو فيه العناية السنية عناية الحضرة الشامخة العلية حضرة سيدنا الملك العظيم المجد . السعيد الجد السائر على سنن اسلافه الامراء الصيد والفائز من مفاخرهم بالحظ المزيد والصيت الحميد سيدنا محمد الامين دام له العز والتاييد . ولا زال قرير العين في آله وبنيه . مبلغ الامال في كل ما يسره ويرضيه . موفقا بتوفيق الله لما وفق له الراشدون . مبلغا به رعاياه الامل الذي اليه يصبون . فكم دليل قائم على ما لحضرته ودولته في تاييد التعليم الاسلامي من صدق الهمة . المتجددة مظاهره عند كل مهمة .

فقد كنا في كامل امد هذا العام الدراسي نجد من جناب وزيره الاكبر المساعدة والتاييد على كل ما من شانه ان يبلغ بالتعليم الزيتوني اوج كماله . ويحقق سمو مكانته وشرف رجاله . وحقيق بان نشرك في هذا الثناء كامل الجهاز الإداري الذي يربط الصلة بيننا وبين جنابه وعلى راسه جناب رئيس القسم الاول اذ لم نجد منه إلّا كامل الاعانة والحرص على انجاح جهودنا حتى تسنى لنا ان نوفي بما كنا عقدنا

عليه اواصر الالتزام في مثل هذا الموكب من ماضي العام .

وان مما نذكره في مقدمة ذلك اننا كنا في العام الماضي نخطب هنا وامتحان شهادة الاهلية بفرع صفاقس معلق بين شطري تمام وتعطيل فلم يدر الزمان دورته لهذا العام إلّا وقد تم امتحان تلك الشهادة بجميع موادة في اربعة مراكز من مراكز الفروع هي صفاقس وقفصة والقيروان وسوسة وبذلك تم الالتحام بين الجامع الاعظم وفروعه التحاما سيبلغ بمعونة الله مداه بانجاز ما تقرر لهيئة المشائخ المدرسين بالفروع من اللحاق بمدرسي الطبقة الثالثة في جميع حقوقها وواجباتها على انه اذا كان الوفاء بهذا الالحاق قد تاخر لمقتضيات ادارية اوشكت على الانتهاء فان اولائك المشائخ لم ينتظروا هذا الوفاء بالحقوق بوفائهم بالواجبات فقاموا من اول السنة الدراسية بزيادة في ساعات دروسهم ساوت بينهم وبين مدرسي الطبقة الثالثة في عدد الساعات الاسبوعية فبورك في سعيهم واجتهادهم وما بذلوا في خدمة دينهم وبلادهم .

اما المشائخ المكلفون بالتدريس في الفروع فقد جرينا في كامل هذه السنة على معاملتهم معاملة المشائخ المكلفين بالتدريس في الاصل سواء ونحن نرجو ان يشملهم ما ينال اخوانهم بالاصل .

ثم ان العزم معقود على ان تفتح السنة المقبلة بزيادة ربط لعلاقة الفروع بالاصل وهو نظام التفقد بتكليف بعض ابنائنا العلماء بالتردد على الفروع للتنسيق بين مناهجها والربط بينها وبين مركزها ربطا محكم العرى حتى يستتب تطبيق برنامج التعليم بالجامع وفروعه على نسبة متساوية ذلك الذي اذنت به طلائع هذا العام فيما اسفرت عنه نتيجة الامتحانات . فقد كانت امتحانات الفروع برهانا على ان برنامج التعليم الذي سطرناه قد كان مطبقا في الفروع تطبيقا لايقل عما هو مطبق به في الاصل فكانت نتيجة الناجحين من عموم المشاركين نتيجة كاملة ان نقصت في البعض لوفرة العدد فباقل من اثنين في المائة .

ثم ان هذا الغراس لم يزل في نماء وتفرع بما التحق بعداد فروع الجامع اثناء هذا العام وذلك فرعان بالحاضرة بالجامع المرادي والجامع الحسيني وفرع بالمهدية وفرع بالمنستير وسيزيد امتدادا باعادة تنظيم الفروع المعطلة التي تم اعتبارها بصفة رسمية وتاهبت للاكتساء بالصفة العملية وهي فروع باجة وبنزرت ومدنين .

ثم سيعقب ذلك بانجاز ما تقرر من تاسيس فروع بالكاف وتالة وجمال ومنزل تميم فعسى ان يصبح بحر التعليم الزيتوني نميرا زاخرا تجيش غواربه وتترامى اواذيه الى بحري الشريعة والعربية فتنتعش بفيضه مشاربه وتصبح فروعه منتشرة فيها خلجان يمدها ذلك البحر بكل مترع لجب ومنها

ما يباكرها الغيث بقطر ثم ينسكب .

ولعل تسهيل هذا الخير يندرج فيما لله تعالى في تصرفاته من اسرار يعلم كنهها الراسخون ولا ينصرف عن ملاحظة ءاثارها المتوسمون . فاقبال الامة على هذا التعليم الذي هو عنوان ذاتيتها وقوام جامعتها ايذان بان الله تعالى قد هيا لها رشاد اعمالها وتحقيق ءامالها فساقها الى التعلق بالعلوم المستمدة من كلمة السعادة والكفيلة لمن اخذ بها بمنازل السيادة .

فعلينا ان نشعر باننا معشر الذين يسرنا لدلائل هذه العناية واقامنا هداة على الطريق المنتهية الى تلكم الغاية . قد وجب علينا من شكران هذه النعمة ما يفي به عملنا في خدمة هذا الجانب وان ترامت الهمم فان نعم الله لا يفي بحقها عظيم الشكر ولكن من بلغ المجهود حق له العذر فقد بذلنا الجهد في ضبط مواد التعليم وتوزيعها وتقرير المقادير والاساليب والكتب والمناهج على نحو ما شرطناه في مختتم العام الماضي وحرر في ذلك برنامج مفصل طبع ووزعت نسخه بمعاهد التعليم وكان السير على مقتضاه كفيلا بتقدم التعليم بخطى واسعة وقطعه نحو غاية الكمال مسافة شاسعة وقد روعيت في هذا البرنامج المحافظة على الصبغة الاصلية للتعليم الزيتوني وهي الصبغة الشرعية والعربية وتوسيع نطاق الضلاعة للطلبة في هاتين الخصوصيتين بترقية البرنامج في منتهاه الى اعلى رتبة من الكتب المشهورة التي شهد لها العالمون بغزارة العلم واحكام الوضع مع جعله متدرجا نحو هذا المرتقى في المناهج الموصلة الى صحة تصور معاني العلوم والقدرة على تطبيقها تطبيقا سريعا وتنمية الملكات في التحرير والتقرير ليتخرج من هذا التعليم العالم المقتدر على الغوص فيما درس من المسائل المضطلع سبكها في اعز القوالب من الدروس والرسائل .

وقد امكنت الاستعانة على تحقيق هذا المقصد بالتقليل من ساعات التلقي والتكثير من ساعات العمل الشخصي للطالب اذ يعهد له باعمال علمية يعملها خارج الدرس ويبني على الموازنة بين مواد التعليم بصفة لا تدع الطالب الزيتوني منحط الكفاءة في ناحية من نواحي ثقافته العامة الى منزلة تقضي على فكرته العلمية بالقصور او الاختلال وبخاصة نحو الناحية الادبية وناحية المعارف الرياضية والطبية كل ذلك مع المحافظة على تفوق نسبة العلوم الشرعية والعربية في كل سنة من سني التعليم مع ان البرنامج قد حقق الانتهاء في العلوم المتممة الى منتهى حميد يناسب عظمة هذا المعهد وقيمة شهاداته هذا وقد وسع البرنامج في اوقاته ناحية الاخلاق الدينية والاداب الاسلامية والتخلق بخلق القرءان المجيد ـ ثم تعزز ذلك التوسع بالتخلق العملي بما شمله النظام الموضوع لمدارس سكنى الطلبة من الاعتناء بهذا التخلق اذ اصبحت المراقبة حازمة على الطلبة في سلوكهم الديني بالتخلي

والتحلي والسير بهم نحو طريق الادب والمروءة وقطع دابر الفوضى واخذهم بالانقياد للنظام وحملهم على المظهر المحمود . وصار شيـخ المدرسة مطلوبا بقضاء اغلب الاوقات فيها مع الالترام ان لاتسند مشيخة مدرسة في المستقبل إلّا لمن تتاتى له الاقامة فيها وللمحافظة على سلامة افكار التلاميذ وسلامة صحتهم قد نظمت في المدارس اوقاتهم وجعل تحضير دروسهم واشغالهم التي يكلفون بها تحت مراقبة شيوخ من حملة شهادة العالمية او شهادة التحصيل مع الافساح لهم في نظام اوقاتهم بما يسمح لهم بالراحة والنزهة والاستجمام لتدفع عنهم دواعي الكلال والفتور ومع القيام على حفظ النظام الصحي واتخاذ وسائل التطهير والعيادة الطبية ووضع الادوية للمعالجات الاستعجالية وقد وجدنا في اقامة ذلك اعانة يتوجه عنها الشكر الى جناب وزير الشؤون الاجتماعية مفخر نبغائنا . وقد ابتدانا في ابطال الطبخ في بيوت الطلبة وعرصات مدارسهم بايجاد مطابخ لثلاث مدارس وتنظيم قاعات طعام منظمة ينخرط فيها الطلبة باشتراك مالي . مع افتتاح قسم للطعام المجاني بمائدة شرف لهم لايجادها تبرع بعض الافاضل ورسمنا فيها ثلاثة من التلامذة تونسي وجزائري وطرابلسي فكانت رمزا على اخوة أهل الشمال الافريقي في التغذي من علوم هذا المعهد .

وان ما نرتجيه من تمام مرافق السكنى الصحية العصرية وشمولها جميع المحتاجين من الوافدين في طلب العلم يزيدنا حرصا على انجاز المشروع العظيم مشروع الحي الزيتوني وتاكيدا للثقة في الجمعية الساعية لتشييده تحت رئاسة فضيلة العلامة الجليل شيخ الاسلام المالكي بارك الله في علمه وفضله وقد لاحظنا من اقبال الامة على هذا المشروع الصالح اقبالا نرجو ان يتزايد بفضل الاعانة الادبية المرتجاة من جناب الوزير الاكبر في مخاطبة الرؤساء الاداريين بالمملكة للحث على الاقبال على الاشتراك . وما صدر من جناب وزير العدلية الهمام من الخطاب لعموم الهيئات الشرعية والعدلية في التنوية بهذا المشروع والحث على تعضيده بارك الله في كماله وزكى فضايل اعماله وفي هذه النفحة الالهية من المؤازرة والتاييد التي غمرتنا من عموم الامة حكومة وشعبا اكتسبنا واكتسب ابناؤنا الطلبة عدة لمنازلة الازمات وتذليل العقبات فقد مر هذا العام على الطالب باشد صعوباته فمن فقد المساكن وقلة الازواد والكسى . وغلاء الادوات وفقدان الكتب فصابروا في هذه الشدة الخطيرة على اللاواء وكانوا للعلم خير انصار واولياء وامتثلوا للنظام المدرسي امتثالا . يصلح للحياة النظامية مثالا . فاذا نحن اخذنا بعضهم على تخلف او اخفاق فانما نؤاخذهم ونحن نالم لهم كما يالمون . ونضمر لهم المعذرة التي يدعون . ولكننا نعمل لهم عمل من طب لمن حب . ونسوسهم سياسة ناصح واب . يغالب رقته وعطفه حين ينظر الى مستقبل زاهر . يهون عليه الوحشة التي تمتلكه في الوقت الحاضر ولذلك لم نزل

(البقية على صفحة ٣٤)



بقية تفسير قوله تعالى :

﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾

بقلم الحجة الامام المولى محمد الطاهر ابن عاشور

فيما عبدوا وتكرير لحسرتهم على اهانتها وقد تكرر مثل هذا الاخبار نحو قوله تعالى « انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم » الاية وتعريف النار باللام ووصفها بالموصول المقتضي علم المخاطبين بها اما لتنزيل الجاهل منزلة العالم للاشارة الى تحقيق وجود جهنم او لان العلم بذلك قد حصل من اخبار اهل الكتاب فقد كانوا يعرفون دار الوعيد وهي جهنم قال ورقة بن نوفل يرثي زيد بن عمرو بن نفيل :

رشدت وانعمت ابن عمرو وانما تجنبت تنورا من النار مظلما

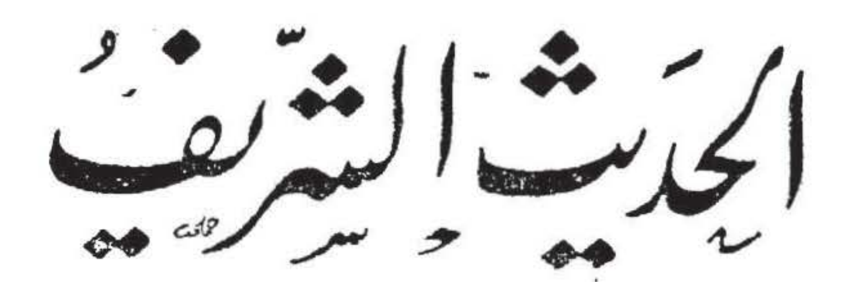
او لان وصف جهنم بذلك وقد تقرر فيما نزل قبل من القرءان كقوله تعالى في سورة التحريم وهي مكية « يايها الذين ءامنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة » وفيه بعد اذ لا يلزم ان يكون جميع السامعين الان قد سمعوا الايات السالفة وفي جعل النـاس والحجارة وقودا دليل على ان نار جهنم مشتعلة من قبل زج الناس فيها وان الناس والحجارة انما تتقد بها لان نار جهنم هي عنصر الحرارة كلها كما اشار له حديث الموطا (ان شدة الحر من فيح جهنم) فـاذا اتصل بها الادمي اشتعل ونضج جلده واذا اتصلت بها الحجارة صهرت وفي الاحتراق بالتيار الكهربـائي نموذج يقرب ذلك وروي

عن ابن عباس ان جهنم تتقد بحجارة الكبريت فيكون نموذجها البراكين الملتهبة الجارية منها المياه الحارة. وقوله « اعدت للكافرين » استيناف لم يعطف لقصد التنبيه على انه مقصود بالخبرية لانه لو عطف لاوهم العطف انه صفة ثانية او صلة اخرى وجعله خبرا اهول وافخم وادخل للروع في قلوب المخاطبين وهو تعريض بانها اعدت لهم ابتداء لان المحاورة معهم. وهذه الاية قد اثبتت اعجاز القرءان اثباتا متواترا امتاز به القرءان عن بقية المعجزات فان سائر المعجزات للانبياء ولنبينا عليهم الصلاة والسلام انما ثبتت باخبار احاد وثبت من جميعها قدر مشترك بين جميعها وهو وقوع الاعجاز بالتواتر المعنوي مثل كرم حاتم وشجاعة عمرو. واما القرءان فاعجازه ثبت بالتواتر النقلي ادرك معجزته العرب بالحس وادركها عامة غيرهم بالنقل وقد تدركها الخاصة من غيرهم بالحس كذلك على ما سنبينه اما ادراك العرب معجزة القرءان فظاهر من هذه الاية وامثالها فانهم كذبوا النبي صلى الله عليه وسلم وناووه واعرضوا عن متابعته فحاجهم على اثبات صدقه بكلام اوحاه الله اليه وجعل دليل انه من عند الله عجزهم عن معارضته فانه مركب من حروف لغتهم ومن كلماتها وعلى اساليب تراكيبها واودع من الخصائص البلاغية ما عرفوا امثاله في كلام بلغائهم من الخطباء والشعراء ثم حاكمهم الى الفصل في امر تصديقه او تكذيبه بحكم سهل وعدل وهو معارضتهم لما اتى به او عجزهم عن ذلك نطق بذلك القرءان في غير موضع كهاته الاية فلم يستطيعوا المعارضة فكان عجزهم عن المعارضة لا يعدو امرين اما ان يكون عجزهم لان القرءان بلغ فيما اشتمل عليه من الخصائص البلاغية التي يقتضيها الحال حدا لا طاقة لاذهان البشر به بحيث لو اجتمعت اذهانهم وانقدحت قرائحهم وتسامروا وتشاوروا في نواديهم وبطاحهم واسواق مواسمهم فابدى كل بليغ ما لاح له من النكت والخصائص لوجدوا كل ذلك قد وفت به ايات القرءان ثم لو لحق بهم لاحق فابدى ما قيدوه من النكت لوجد تلك الاية التي انقدحت فيها افهام السابقين واحصت ما فيها من الخصائص قد اشتملت على ما لاح لهذا الاخير وهكذا فهذا هو القدر الذي ادركه بلغاء العرب فاعرضوا عن معارضته علما بانهم لا قبل لهم بمثله وقد كانوا من علو الهمة ورجاحة الراي بحيث لا يعرضون انفسهم للفضيحة فسكتوا واحتملوا هذا النداء عليهم بالعجز عن المعارضة في مثل هذه الاية فثبت بهذا انه معجز لبلوغه حدا لا يستطيعه البشر فكان هذا دليلا على ان الله اوجده كذلك ليكون دليلا على صدق الرسول. فالعجز عن المعارضة لهذا الوجه كان لعدم القدرة على الاتيان بمثله وقد يجوز ان يكونوا قادرين على الاتيان بمثله ممكنة منهم المعارضة لكنهم صرفهم الله عن التصدي لها مع توفر الدواعي على ذلك فيكون صدهم عن ذلك مع ذلك ومع اختلاف احوالهم امرا خارقا للعادة ايضا وهو دليل المعجزة وهذا مذهب من قال ان الاعجاز بالصرفة

وهو مع كفايته في المطلوب ضعيف. فان قلت أم لا يجوزان يكون ترك العرب للمعارضة تعاجزا لا عجزا وبعد فمن ءامننا ان يكون العرب قد عارضوا القرءان ولم ينقل الينا ما عارضوا به. قلت يستحيل ان يكون فعلهم ذلك تعاجزا فان محمدا صلى الله عليه وسلم بعث في امة مناوية له معادية لا كما بعث موسى في بني اسرائيل موالين معاضدين له ومشايعين فكانت العرب قاطبة معارضة للنبي صلى الله عليه وسلم اذ كذبوه ولمزوه بالجنون والسحر وغير ذلك ولم يتبعه منهم إلّا نفر قليل مستضعفون بين قومهم لا نصير لهم في اول الدعوة ثم كان من امر قومه ان قاطعوه ثم امروه بالخروج بين همم بقتله واقتصار على اخراجه كل هذا ثبت عنهم في اخبارهم واقوالهم المنقولة نقلا يستحيل تواطؤ ناقليه على الكذب وداموا على مناواته بعد خروجه لاجرم انه قصر معهم مسافة المجادلة وهيأ لهم طريق الزامه بحقية ما نسبوه اليه فاتاهم بكتاب منزل ودعاهم الى المعارضة بالاتيان بقطعة قصيرة مثله وان يجمعوا لذلك شهداءهم واعوانهم نطق بذلك هذا الكتاب. كل هذا اثبت بالتواتر فان هذا الكتاب متواتر بين الامم على الجملة وان اشتماله على طلب المعارضة ثابت بالتواتر المعلوم لدينا بانه هو هذا الكتاب الذي ءامن المسلمون به قبل فتح مكة وحفظوه وءامن به جميع العرب ايضا بعد فتح مكة فالفوه كما هو اليوم شهدت على ذلك الاجيال جيلا بعد جيل .

وقد كان هؤلاء المتحدون المدعوون الى المعارضة بالمكانة المعروفة من اصالة الراي واستقامة الاذهان ورجحان العقول وعدم رواج الزيف عليهم وبالكفاءة والمقدرة على التفنن في المعاني والالفاظ تواتر ذلك كله عنهم بما نقل من كلامهم نظما ونثرا وبما اشتهر وتواتر من القدر المشترك من بين المرويات من نوادرهم واخبارهم فلم يكن يعوزهم ان يعارضوه لو وجدوه على النحو المتعارف لديهم بل ان صحة اذهانهم ادركت بلا ريب انه تجاوز الحد المتعارف لديهم فلذلك اعرضوا عن المعارضة مع توفر دواعيهم بالطبع وحرصهم عليها لو وجدوا اليها سبيلا ثبت اعراضهم على المعارضة بطرق التواتر اذ لو وقع مثل هذا لاعلنوه واشاعوه وتناقله الناس لانه من الحوادث العظيمة وايا ما جعلت سبب اعراضهم عن المعارضة من خروج كلامه عن طوق البشر او من صرف الله اذهانهم عن ذلك فهو دليل على امر خارق للعادة كان بتقدير من خالق القدر ومعجز البشر. ووراء هذا كله دليل آخر يعرفنا بان العرب بحسن فطرتهم قد ادركوا صدق الرسالة وتفطنوا لاعجاز القرءان وانه ليس بكلام معتادا لبشر وانهم ما كذبوا إلّا عنادا ومكابرة وحرصا على السيادة ونفورا من الاعتراف بالخطا وذلك الدليل هو اسلام جميع قبائل العرب وتعاقبهم في الوفادة بعد فتح مكة فانهم كانوا مقتدين بقريش في المعارضة مكبرين المتابعة لهذا الدين خشية المستبدين من قريش ومن ظاهرهم بل كانت كل قبيلة تخشى منابزة الاخرى فلما غلبت قريش لم يبق ما يصد بقية العرب عن المجيء طائعين معترفين عن غير غلب فانهم كانوا

يستطيعون الثبات للمقارعة اكثر مما ثبتت قريش فقد كان من تلك القبائل اهل الباس والشدة من عرب نجد وطي وغيرهم من اعتز بهم الاسلام بعد ذلك ليس مما عرف في عوائد الامم واخلاقها ان تنبذ اديانا تعتقد صحتها ويجيء جميعها طائعا نابذا دينه في خلال اشهر من عام الوفود لم يجمعهم فيه ناد ولم تمش بينهم سفراء، لولا انهم كانوا متهيئين لهذا الاعتراف لا يصدهم عنه إلّا صاد ضعيف وهو المكابرة والمعاندة . ثم في هذه الآية معجزة باقية وهي قوله : « ولن تفعلوا » فهي قد مرت عليها العصور والقرون ومصداقها واضح اذ لم تقع المعارضة من احد من المخاطبين ولا ممن لحقهم الى اليوم فان قلت ثبت بهذا ان القرءان معجز للعرب وبذلك ثبت لديهم انه معجزة وثبت لديهم به صدق الرسول ولكن لم يثبت ذلك لدينا فما هي المعجزة لنا قلت ان ثبوت الاعجاز يستلزم مساواة الناس في طريق الثبوت فانه اذا اعجز العرب ثبت انه خارق للعادة لما علمت من الوجهين السابقين فيكون الاعجاز للعرب بالبداهة ولنا بالاستدلال والبرهان وهما طريقان لحصول العلم وبعد فان من شاء ان يدرك الاعجاز كما ادركه العرب فما عليه إلّا ان يشتغل بتعلم اللغة وادبها وخصائصها حتى يساوي او يقارب العرب في ذوق لغتهم ثم ينظر بعد ذلك في نسبة القرءان من كلام بلغائهم . قال الشيخ عبد القاهر في مقدمة دلائل الاعجاز « فان قال قائل ان لنا طريقا الى إعجاز القرءان غير ما قلت (اي من توقفه على علم البيان) وهو علمنا بعجز العرب عن ان يأتوا بمثله وتركهم ان يعارضوه مع تكرار التحدي عليهم وطول التقريع لهم بالعجز عنه ولو كان الامر كذلك ما قامت به الحجة على العجم قيامها على العرب وما استوى الناس فيه قاطبة فلم يخرج الجاهل بلسان العرب عن ان يكون محجوجا بالقرءان قيل له خبرنا عما اتفق عليه المسلمون من اختصاص نبينا عليه السلام فان كانت معجزته باقية على وجه الدهر اتعرف له معنى غير انه لا يزال البرهان منه لائحا معرضا لكل من اراد العلم به والعلم به ممكن لمن التمسه وان لا معنى لبقاء المعجزة بالقرءان إلّا ان الوصف الذي كان به معجزا قائم فيه ابدا اهـ» وقد بينت في كتاب لي في اعجاز القرءان تفاصيل من وجوه اعجازه فقد اشتملت هذه الآية من اصناف من الاعجاز اذ نقلت الاعجاز بالتواتر وكانت ببلاغتها معجزة وكانت معجزة من حيث الاخبار عن المستقبل كله بما تحقق صدقه فسبحان منزلها ومؤتيها .



حدثني ابو التياح عن آنس ابن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا

الشرح بقلم المنعم الشيخ محمد بن القاضي (٢)

الخلاف في ان الامر هل يستلزم النهي

وقد اختلف الاصولون كما في اصول فخر الاسلام البزدوي في ان الامر بالشيء هل له حكم في ضده اذا لم يقصد ضده بنهي مستقل وكذا النهي عن الشيء هل له حكم في ضده اذا لم يقصد ضده بامر مستقل قال امام الحرمين والغزالي وهو مختار ابن الحاجب في مختصر الاصول ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده ولا مستلزما له وقال القاضي ابو بكر البقلاني ءاخرا وعليه جمع من الاصوليين ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده او ان النهي عن الشيء يستلزم الامر بضده وقال المحققون من المتاخرين من الحنفية ان امر الايجاب يستلزم النهي عن ضده تحريما ان فوت ذلك الضد ما قصد بالامر ويستلزم النهي عن ضده كراهة تحريم ان لم يفوت ذلك الضد ما قصد بالامر وان نهي التحريم يستلزم الامر بضده ايجابا ان فوت عدم الضد ما قصد بالنهي عنه ولا يستلزم الامر بضده ايجابا ان لم يفوت عدم الضد ما قصد بالنهي عنه بل يحتمل السنة المؤكدة ويحتمل الاباحة ويحتمل غيرهما

تحرير محل النزاع

قال المحقق الفنري في فصول البدائع المراد بالضد الضد الجزءي المعين كالامر بالصلاة يكون نهيا عن الاكل والشرب وكلام البشر وغير ذلك مما هو اضداد للشرائط والاركان المعتبرة شرعا وليس المراد بالضد مجرد ترك المامور في الامر ولا مجرد ترك المنهي عنه في النهي حتى يكون المعنى حينئذ الامر بالشيء يستلزم النهي عن ترك المامور به والنهي عن الشيء يستلزم الامر بترك المنهي عنه وإلّا صار النزاع لفظيا لان من قال بعدم الاستلزام يعترف بهذا وينكر الاستلزام للضد الجزءي المعين فهذا هو محل النزاع وادلة الاقوال مبسوطة في محلها .

دليل الحنفية والشافعية عن «المحصول»

نقتصر منها على الدليل الذي اجمع عليه متأخروا الاصوليين من الحنفية والشافعية المقتضي ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده والنهي عن الشيء يستلزم الامر بضده وحاصله كما في المحصول ان الامر بالشيء مطلقا امر بالمقدور الذي لا يتم ذلك الشيء إلّا به سواء كان ذلك المقدور الذي لا يتم ذلك الشيء إلّا به عقليا كترك ضد الواجب فانه لا وجود لذلك الواجب عقلا إلّا به اذ يستحيل ان يوجد بدونه وإلّا لزم اجتماع الضدين وهو محال كما تقرر في الحكمة او عاديا كغسل جزء من الراس لغسل الوجه فانه لا يمكن عادة ان يغسل الوجه كله ولا يغسل شعرة او شعرتين من الراس وان كان ممكنا عقلا او شرعيا كالوضوء للصلاة وهو مذهب كثير العلماء كما في اصول ابن السبكي

تحقيق الفنري في فصول البدائع

قال المحقق الفنري في فصول البدائع مفصلا لهذا الدليل ان فعل المامور به لا يحصل إلّا بالانتهاء عن اضداده المعينة الجزئية وترك المنهي عنه لا يحصل إلّا بالانتهاء عن اضداده المعينة الجزئية وترك المنهي عنه لا يحصل إلّا بفعل ضد المنهي عنه المعين الجزئي واقله السكون فانه كون عندهم فيتحقق الاستلزام وتصور الحاكم لوازم الحكم غير لازم في الحكم وحينئذ فلا تشترط الملاحظة والخطور بالبال قصدا وقت الايجاب ولذا قالوا ان جميع ما يتوقف عليه الواجب واجب بموجبه

قول الصفي الهندي

قال الصفي الهندي في النهاية ويجوز ان يكون الامر بالشيء امرا بما يتوقف عليه وجوده وان كان ما يتوقف عليه وجوده مغفولا عنه

دفع شبهة اشتباه المذهب الحنفي بمذهب الكعبي

ويرد على الحنفية في قولهم ان النهي عن الشيء يستلزم الامر بضده انه يلزم عليه نفي المباح وتصيير كل مباح واجبا مأمورا به اذ ما من مباح إلّا وهو ترك حرام والحرام منهي عنه وهذا هو مذهب الكعبي وهم لا يقولون به بل هو باطل في نفسه كما تقرر في الاصول والجواب انهم لا يقولون ان النهي يستلزم الامر مطلقا بل قالوا يستلزمه في الجملة وإلّا فقد يكون الضد مباحا كما حققه العلامة منلاخسرو في مرآة الاصول

كلام صدر الشريعة في بيان مذهب اصحابنا والمطلقات

قال صدر الشريعة في التوضيح وعلى ما ذهب اليه اصحابنا قوله سبحانه وتعالى والمطلقات يتربصن : امر بالتربص اي يكففن ويحبسن انفسهن عن نكاح زوج آخر ونحوه فيقتضي حرمة التزوج لانه ضده وهو مفوت له : فيكون التزوج منهيا عنه تحريما .

وقوله صلى الله عليه وسلم في صفة الصلاة ثم ارفع رأسك حتى تستوي قائما : امر بالقيام عقب رفع الراس من السجدة الثانية من الركعة الاولى وهو لا يقتضي التحريم . اعني تحريم القعود لانه لا يفوت القيام المأمور به من اصله لجواز ان يعود اليه عقبه لعدم تعين الزمان فلا تبطل الصلاة اذا قعد بعد السجدة الثانية من الركعة الاولى ثم قام الى الركعة الثانية لكنه يكره تحريما فيجبر ذلك بسجود السهو اذا فعل ذلك ساهيا لتركه فور القيام عقب السجدة الثانية من الركعة الاولى .

ولا يحل لهن ان يكتمن

وقوله سبحانه وتعالى ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق في الله ارحامهن نهي عن الكتمان فيقتضي وجوب الاظهار لان عدم الاظهار مفوت للمطلوب بالنهي وهو عدم الكتمان لكونه ضدا له واحدا ولا واسطة بينهما قال جار الله في كشافه عقب نهي الله سبحانه وتعالى عن كتمانهن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والقرء وذلك ان المرأة اذا ارادت فراق زوجها كتمت حملها لئلا ينتظر زوجها بطلاقها ان تضع حملها ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها او كتمت قرأها وقالت وهي ذات قرء قد طهرت استعجالا للطلاق وقال القاضي البيضاوي بعدما نهين عن كتمانهن ما خلق الله في ارحامهن من الولد والقرء قال الشيخ زاده في حواشيه : فتكتم الحمل ابطالا لحق الزوج في رجعتها او لاشتياقها الى الزوج تستكره الانتظار لوضع الحمل وتستطيل الاعتداد به فتكتم الحمل لذلك او تكتم القرء وتقول طهرت استعجالا في انقضاء العدة وابطالا لحق المراجعة .

نهي المحرم عن لبس المخيط

ونهي الشارع المحرم عن لبس المخيط حال احرامه كما في الصحيح لا يقتضي وجوب ضده كلبس الرداء والازار لان عدم لبس الرداء والازار ليس بمفوت للمقصود اعني ترك لبس المخيط لجواز ان لا يلبس المخيط ولا شيئا من الرداء والازار فيكون لبس الرداء والازار سنة مؤكدة بالنظر الى الاحرام وان كان واجبا بالنظر لستر ما يجب ستره من البدن اه

اذا تقرر هذا فان درجنا على ما قاله امام الحرمين والغزالي وهو مختار ابن الحاجب ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده ولا يستلزم ماله بقوله صلى الله عليه وسلم في حديث الباب يسروا ولا تعسروا الخ الامر بالتيسير فيه لا يستلزم النهي عن التعسير والامر بالتبشير لا يستلزم النهي عن التنفير وكذا عكسه من جانب النهي فيهما فليس ذكر التعسير والتنفير محتاجا الى التوجيه وان درجنا على ما قاله القاضي ابو بكر البقلاني ومن وافقه من الاصوليين من الحنفية وغيرهم من ان الامر بالشيء يستلزم النهي عن ضده وعكسه ففائدة التصريح به هي التاكيد اهتماما باللازم لكون المقام مقام اطناب حيث ان المقام للتعليم

قال في الارشاد ولانه لو اقتصر على الاول لصدق على من اتى بالتيسير والتبشير مرة واتى بالتعسير والتنفير غالب الاوقات فلما قال ولا تعسروا ولا تنفروا انتفى التعسير والتنفير في كل الاوقات. ا ه ولا يخفى انه مبني على ان الامر لا يدل على العموم والتكرار وان المامور اذا اتى بالمامور به مرة واحدة كان ممتثلا وهو مذهب الحنفية وهو مختار امام الحرمين وابن الحاجب وان وقع خلاف بينهم في اصل مدلوله هل هو الماهية فقط وهو مختار ابن الحاجب او الماهية في ضمن فرد وهو مختار الحنفية واما على ما اختاره الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني من انه يدل على العموم والتكرار وان الامر اذا ورد كان للتكرار مدة العمر في اوقات الامكان فلا يتم ذلك كما لا يخفى

قال المحقق ابن ابي جمرة في شرحه لاختصار البخاري امرهم صلى الله عليه وسلم بان يبشروا ولم يامرهم بان يبقنوا مثلا كما فعل هو صلى الله عليه وسلم في الحديث الاخر المروي في الصحيح وهو قوله وبشروا ولم يقل وايقنوا وذلك لوجهين احدهما ان الايقان قطع بالامر والقطع لا يكون إلّا لله سبحانه وتعالى وحده وانما الذي لغيره من العباد قوة الرجاء لا غير لانه ليس للعبد حق وجوب على الله سبحانه وتعالى كما هو مذهب اهل السنة خلافا للمعتزلة كما تقرر في علم الكلام وانما هو من طريق الفضل والمن وما كان من طريق الفضل والمن فلا يطمع فيه إلّا بقوة الرجاء لا انه يكون حتما مقطوعا به اذ لا حتم على الله سبحانه وتعالى وقد قال سبحانه وتعالى « ومن اوفى بعهده من الله » فتكون قوة الرجاء في هذا الوعد بحسب ما يرجى من عظيم الفضل اللائق بجلاله وكماله

الوجه الثاني بعد التيقين

ثانيهما ان ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم سد للذريعة لانه لو قال في حديث بشروا بداله ايقنوا وقال في حديث الباب بدل بشروا بدله ايقنوا اي اجعلوهم مومنين قاطعين بالثواب لحصل به للضعفاء اغترارا وهو عين الهلاك فلربما كان ذلك سببا للتقصير مهلكا بخلاف البشارة لان للبشارة رجاء ونفس الرجاء يشرح الصدر وينشط للعمل وتنعش به الروح [للبحث بقية]

الفتاوى والاحكام

حكم ماء الكلونيا

قد جلب في عصر المشير الاول من بلاد الافرنج ماء من المستقطرات يتداوى به ويتطيب به يسمى بالكلونيا وسأل ذلك المشير احمد باشا الاول شيخ الاسلام سيدي محمد ابن الخوجة عنه من حيث الحل والحرمة والطهارة والنجاسة والسؤال ورد على لسان الشيخ سيدي احمد ابن ابي الضياف ونص السؤال «سيدي ادام الله بك الانتفاع ونزه بعلومك القلوب والاسماع جوابكم الشافي في سبب نجاسة الخمر هل هو الاسكار حتى تزول بزواله مثل الخمر والطرطرأ وهي نجسة العين مثل الخنزير وعليه تشكل طهارة الخل وعلى هذا الماء المسمى كلونية وهو مستقطر من عرق الخمر المسمى بالعراقي تضاف له عشب مثل النارنج والخزامي وغير ذلك لا يشرب ابدا وانما يستعمل طلا لتبريد ظاهر الجسم ودفع مضار فساد الاهوية بالشم وهو من المقتلات مثل السم لا يتصور فيه تسخين ولا شدة دل هو طاهر بناء على انه لا يسكر واستحالت فيه عين الخمر بالتقطير مثل دماء النجس والملح في موضع النجاسة الذي استحالت فيه عين (الخمر بالتقطير) بل اللحمية والعظمية الى الملحية وهل يقال ان تمثيل المشر نبلالي لما يستقطر من النجاسة نجس بالعراقي منطبق على الماء المسمى كلونية ام لا لان العراقي يسكر وهذا لا يسكر افدني متع الله ببقائك المسلمين ومن البلاغة الجواب في خلال هذا السؤال الاطناب وكتبت في جوابه: اما بعد اجلالك واكرامك والسلام اللائق بمقامك اخي شرح الله صدرك ورفع في الدارين قدرك فاني لما اسمت سرح اللحظ في هذا السؤال ظهر في جوابه ان يقال ان الخمر نجسة العين وهي حرام غير معلول بالسكر ولا متوقف عليه كما نص عليه الامام الزيلعي في كتاب الاشربة ولا يشكل عليه طهارة الخل لان انقلاب العين الذي منه كما في فتح القدير استحالة الخمر خلا من المطهرات والماء المسمى كلونيا حيث كان مستقطرا من اصل بعض اجزائه نجاسة يكون نجسا لان القطارة تتبع الاصل في النجاسة والطهارة وهي ليست في الحقيقة إلّا بعضا من الاصل المستمدة هي منه وليس امرها من باب انقلاب العين في شيء بل من باب الطبخ وقد صرح الامام الزيلعي بأن الطبخ لا يؤثر في الخمر إلّا انه لا يحد فيه مالم يسكر وقال في موضع آخر ولو

جعلت الخمر في مرقة لا يؤكل للتنجس والطبخ لا يؤثر في الخمر. ولو اكل منه لايحد إلّا ان سكر لغلبة غيرها عليها ولكونها مطبوخة وليس مدار النجاسة على الاسكار وانما الذي مداره عليه هو الحد فيما سوى الخمر فانها يحد شاربها وان لم يسكر هذا وان ابيت إلّا البسط واقامة وزن الكلام بالقسط فاقول ان المحرم من الاشربة اربعة احدها الخمر وهو النيء من ماء العنب اذا غلى واشتد وقذف بالزبد والثاني الطلاؤ وهو العصير ان طبخ حتى ذهب اقل من ثلثيه. والثالث السكر وهو النيء من ماء الرطب. والرابع نقيع الزبيب وهو النيء من ماء الزبيب وهذه الاربعة وان اشتركت في الحرمة إلّا ان الخمر تفارق الثلاثة الباقية من وجوه. منها ان شاربها يحد وان لم يسكر بخلاف الثلاثة الباقية فانه لايحد شاربها إلّا اذا سكر ومنها انه يكفر مستحلها بخلاف الثلاثة الباقية فانه لا يكفر مستحلها ومنها انها نجسة نجاسة مغلظة كالبول باتفاق الروايات بخلاف الثلاثة الباقية فان فيها ثلاث روايات نقلها صاحب البحر في باب الانجاس وعن البدائع في رواية مغلظة و في اخرى مخففة وفي اخرى طاهرة قال وينبغي ترجيح التغليظ ومنها ان شرب الخمر كبيرة بخلاف غيرها من الثلاثة الباقية فان شربها صغيرة حتى شرطوا في سقوط العدالة الادمان عليها بلهو ومنها ان بيع ما سوى الخمر من الاشربة التي هي السكر ونقيع الزبيب والمنصف جائز عنده خلافا لهما كما في البحر من باب البيع الفاسد معزيا للبدائع وذكره صاحب الدرر في كتاب الغصب تبعا لصاحب الهداية وانها تتضمن بالقيمة لا بالمثل. والحل اربعة احدها المثلث العنبي وهو ما طبخ من ماء العنب حتى ذهب ثلثاه وان غلا واشتد وسكن من الغليان والثاني نبيذ التمر والزبيب مطبوخا ادنى طبخة وان غلا واشتد وسكن والثالث الخليطان وهو المجموع من ماء التمر والزبيب مطبوخا ادنى طبخة وان غلا واشتد. والرابع نبيذ العسل والبر والشعير والذرة وان لم يطبخ فهذه الاربعة طاهرة يحل شرب القدر الغير المسكر منها ان كان ذلك الشرب بلا لهو وطرب قال في الدرر وهذا القيد غير مختص بهذه الاشربة بل اذا شرب الماء ونحوه من المباحات بلهو وطرب على هيئة الفسقة حرمت واذا سكر الشارب منها كان القدح الاخير حراما لانه المفسد وهل يحد قولان والاصح انه يحد والمستقطر من هذه الانواع الثمانية يتبع الاصل المستمد منه في الطهارة والنجاسة والحل والحرمة وترتب الحد ما عدا المستقطر من الخمر فانه لا يحد شاربه إلّا اذا سكر لان الحد مطلقا انما ثبت في النيء خاصة فلا يتعدى على طلاقه للمطبوخ هذا كله رأي الامام وقال محمد ما اسكر كثيره فقليله حرام من اي نوع كان قال الزيلعي والفتوى في زماننا على قول محمد - بقي الكلام على مسألة التداوي بالخمر هل يجوز ام لا قال الزيلعي في كتاب الكراهية كل تداوي لايجوز إلّا بالاشياء الطاهرة ولا يجوز بالنجس كالخمر لما روى ابن مسعود انه عليه السلام قال ان الله لم يجعل شفاءكم فيما حرم عليكم

ذكره البخاري قال وقال في النهاية يجوز التداوي بالمحرم كالخمر والبول اذا اخبره طبيب مسلم ان فيه شفاء ولم يجد غيره من المباح ما يقوم مقامه والحرمة ترتفع للضرورة فلم يكن متداويا بالمحرم فلم يتناوله حديث ابن مسعود ويحمل انه قاله في داء عرف ان له دواء غير المحرم هذا كلامه وفي البحر من كتاب الشهادات ان الانسان لو شرب الخمر للتداوي لم تسقط عدالته لان الاجتهاد فيه مساغا وعزاه لابن الكمال وفي هذا القدر كفاية ولله الحمد في البداية والنهاية اه. كلام الشيخ ابن الخوجة تعليق شيخ الاسلام احمد كريم الذي قال وقد اشار رحمه الله بقوله هذا كله رأي الامام الى ان من ذلك ما ذكره في تعريف الخمر من اشتراط القذف بالزبد هو قول الامام وعندهما اذا اشتد ولا يشترط القذف بالزبد كما في الهداية وغيرها كما اشار رحمه الله الى ان علة حرمة الكولونيا كون بعض اجزائها مستقطرا من نجس ومقتضاه انها لو سلمت اجزاؤها من النجس او جهل الحال مع ان الاصل في الاشياء الاباحة فلا حرمة والله اعلم اه. كلامه ثم قال واعلم ان الجزء المعلل به حرمة الكولونيا هو المعبر عنه في بلادنا بالسبيريتو وهو اسم لخلاصة المستقطرات وارواحها كالعطر المستقطر من الزهر والورد والنسرين والياسمين ونحوها ولكل مستقطر خلاصة وروح وحكم ذلك حكم الماء المستقطر في كونه تبعا لاصله في الطهارة والنجاسة واليك النظر في تطبيق الاحكام على الموجود في الخارج والله الموفق للصواب.

تعليق المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي وانا اقول قول الشيخ ابن الخوجة ما عدا المستقطر من الخمر فانه لا يحد شاربه إلّا اذا سكر بني على قول من قال كما في القهستاني ان الخمر لم تبق خمرا بالطبخ وح فلا يحد شاربها إلّا اذا سكر وعلى هذا ينبغي ان لا يحد شارب العراقي مالم يسكر واما من قال انها بقيت خمرا فالحكم عنده بالعكس واليه ذهب الامام السرخسي وعليه الفتوى كما في تتمة الفتاوي اه فعلم بهذا ان المعتمد المفتى به ان العراقي لم تخرج بالطبخ والتصعيد عن كونها خمرا فيحد شاربها بشرب قطرة منها وان لم يسكر واما اذا سكر فلا شبهة في وجوب الحد به وقد صرح في منية المصلي بنجاستها ايضا فلا يغرنك ما اشاعه في زماننا بعض الفسقة المولعين بشربها من انها طاهرة حلال قال في رد المختار في باب حد الشرب كان هذا القائل قاله قياسا على ما قالوه في ماء الطابق اي الغطا من زجاج ونحوه فانه قياس فاسد لان ذاك فيما لو احرقت نجاسة في بيت فاصاب ماء الطابق ثوب انسان تنجس قياسا لا استحسانا ومثله حمام فيها نجاسات فعرق حيطانها وكواتها وتقاطر فان الاستحسان فيها عدم النجاسة للضرورة لعدم امكان التحرز عنه والقياس النجاسة لانعقاده من عين النجاسة ولا شك ان العراقي المستقطرة من الخمر هو عين الخمر تتصاعد مع الدخان وتقطر من الطابق بحيث لا يبقى منها إلّا اجزاؤها الترابية ولذا يفعل القليل منها في الاسكار اضعاف ما يفعله كثير الخمر بخلاف المتصاعد من ارض الحمام

ونحوه فانه ماء اصله طاهر خالط نجاسة مع احتمال ان المتصاعد نفس الماء الطاهر ويمكن ان يكون هذا وجه الاستحسان في طهارته وعلى كل فلا ضرورة الى استعمال العراقي الصاعد في بل من نفس الخمر النجسة العين ولا يطهر بذلك وإلّا لزم طهارة البول ونحوه اذا استقطر في اناء ولا يقول به عاقل اه وانا اقول ومثل العراقي جميع المستقطرات من الخمر كالكنياك والروم والبنج وهو نوع من الروم والحاصل ان كل ما استقطر من الخمر فهو خمر حكمه كحكمه . نعم ان حرمة هذه الاشياء ليست كحرمة الخمر لعدم اكفار مستحلها لشبهة الخلاف كما ذكره صاحب رد المحتار في كتاب الاشربة ثم ان قول شيخنا مع ان الاصل في الاشياء الاباحة هو قول بعض اصحابنا كما نقله النسفي في شرحه للمنار وقول جمهور اصحابنا ان الاصل في الاشياء التوقف بمعنى انه لابد لها من حكم لكننا لم نقف عليه بالعقل اه .ونقل الكمال ابن الهمام في التحرير ان المختار ان الاصل في الاشياء الاباحة عند جمهور الحنفية والشافعية اه ومثله في شرح اصول فخر الاسلام لاكمل الدين وفي البدائع المختار ان لا حكم للافعال قبل الشرع والحكم عندنا وان كان ازليا فالمراد به هنا عدم تعلقه بالفعل قبل الشرع التعلق لعدم فائدته اه . فان قلت ان الكولونيا حيث كانت نجسة فاذا طلي بها ثوب او بدن وجفت كما هو مشاهد فيها فانها بمجرد وضعها على البدن تجف فهل جفافها يكون مطهرا ام لابد من غسل الموضع الذي اصابته قلت لابد من غسله ولايكفي الجفاف لما صرح به اصحابنا في كتبهم من ان الجفاف ليس بمطهر إلّا في الارض وهي من النجاسة الغير المرئية كما لا يخفى فيطهر محلها بغلبة ظن الغاسل طهارة محلها وقدروه بغسل وعصر ثلاثا فيما ينعصر وبانقطاع تقاطر في غيره ان كان مما يتشرب النجاسة وإلّا فالغسل ثلاثا ولو بدفعة بلا تجفيف .

القواعد الاساسية لمبادي العربية

اصدر الشاب الحازم الشيخ الحبيب بن المولدي بن عاشور المحصل على شهادة التحصيل بالجامع الاعظم اخيرا كتابا في قواعد العربية قدمه للمدارس الابتدائية والقرآنية والشبيبة التونسية . فنشكر له حزمه ونشاطه . ويطلب الكتاب من كل المكاتب الشهيرة ومن صاحبه بنهج بكار عدد ١٢ بتونس وثمنه خمسة عشر فرنكا بالتفصيل اما بالجملة فيتفاوض مع صاحبه فنرجو له الرواج والانتشار

الوعظ والارشاد

من محاضرات الناشئة الادبية بالمهدية

في سبيل نهضتنا الاجتماعية

ما هي طرق الوصول الى اصلاحنا ؟

بقلم المرشد الشيخ الجيلاني حمزة واعظ المهدية

(٣)

ان الامة التي لا تعبأ بالانتاج والاقتصاد وتكثر من استيراد البضائع الاجنبية تصبح فقيرة معدمة وبدلا من ان تسير في طريق السعادة تمشي رويدا رويدا نحو الفناء والاضمحلال

ايها السادة

ان وطننا يجتاز الان مرحلة من ادق مراحل حياته تصل بين دورين مختلفين دور مظلم انقضى ودور مشرق بدا فيجب علينا اذا اردنا العزة والحياة ان نثبت وجودنا في هذا الدور المشرق فالسعادة لا تنال بغير العمل والنصر لا يتأتى بالنوم والكسل ورحم الله صفي الدين اذ يقول :

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطرا * ولا ينال العلا من قدم الحذرا

ومن اراد العلا عفوا بلا تعب * مضى ولم يقض من ادراكها وطرا

فلا يقول الانسان نحن معاشر التونسيين قد حطنا الزمان ولم يعد يرجى لنا النهوض فجهود الامة تزيل كل الصعاب ونهضة الشعوب ليست بالامر العسير على امة كالامة التونسية اذا نشطت من عقالها واخذت باسباب الرقي والاعمال الصائبة المحكمة . لذلك ارجو ان لا يكون فينا احد من اولئك المتشائمين الذين اعتادوا ان ينظروا الى المشاريع والاعمال من نواحيها السوداء معتقدين استحالة نهوضنا وآيسين من فوزنا انه لا ييأس من روح الله إلّا القوم الكافرون وفلاحنا . فالمؤمن الكامل الصادق في ايمانه تراه يطرق جميع الابواب الموصلة لكرامته وعزته وفلاحه ويجتهد في ترقية نفسه ويواصل السير حتى يحصل على مرغوبه وينعم بالخير «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين» «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون»

السبيل الخامس ـ التعليم ـ

اذا ما علمنا بان الجهل هو آفة رقي الامم . وعقبة التقدم ومصيبة المصائب . واذا ما تحققنا بانه لا رقي ولا فلاح لامة اذا كان رائدها الجهل المطبق . تبين لنا حينئذ اهمية العلم وضرورة العناية به . ولا يكفي ان نتعلم القليل من القراءة والكتابة لندعي المعرفة والكمال لان العلم الناقص كثير الضرر ومن ثم يجب ان ينتشر التعليم في كافة المدن والقرى وان نسعى في جعله اجباريا اسوة بالامم المتمدنة وان نرسل البعثات العلمية الى اوروبا لتتخصص في جميع الفنون وبالخصوص الميكانيكية (علم الالات) وبذلك تستنير بصائرنا ونميز بين الغث والسمين . فلقد صار زماننا زمن الالات والطائرات والمخترعات . لذلك يجب علينا ان نسائر الزمن الذي نعيش فيه فكل امة لا تساير الزمن فهي الى الضياع صائرة وقد راينا في هذه الايام كيف بالعلم والتفكير اهتدى الانسان الى اختراع قنبلة دك بها الجبال والبلدان دكا وحصد بها الانفس حصدا في اقرب من لمح البصر . وكانت النتيجة التجاء اليابان الى الاستسلام من غير قيد ولا شرط كل ذلك نتيجة العلم والتفكير ونحن عندنا الكثير من المتعلمين الذين لو اخذوا بأسباب التفكير لابتكروا ولاخترعوا ولكنهم اكتفوا من علمهم بان اتخذوه سلاحا لكسب معاشهم وأصبحت المادة غايتهم من الحياة والامة بقرة حلوب يستدرونها لانفسهم فهم والاجنبي عليها سواء

نسائل انفسنا هل لرجالنا او لشبابنا المتعلمين آراء علمية او اكتشافات او اختراعات تبرهن على شخصيتنا ؟ سأل احد علماء الاجتماع من الفرنسويين عما هي قوة فرنسا فاجاب فرنسا ان هي إلّا مائة عالم اخصائي في التشريع ومثلهم في الكيمياء والميكانيك . والطب والاقتصاد والزراعة

ايها السادة ـ لا تقوم لنا قائمة إلّا بالاعتماد على انفسنا وبالتفكير الصحيح في كل ما هو نافع ومفيد . وان يختص كل متعلم بفرع من فروع العلم ليتقنه . فاساس حركة الاصلاح التي تنشدها هو تغيير ما عليه نفوسنا من الضعف والوهن والتحول عن ذلك الى طلب العزة والقوة والرفعة والعمل المنتج « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون »

السبيل السادس ـ التربية الوطنية ـ

من الثابت المقرر انه كما يشب الفتى يشيب فان نشأ منذ الصغر على محبة الوطن والمواطنين وكان متحليا بالمبادىء القومية والاخلاق الحميدة . يظل هكذا الى ما شاء الله يخدم بلاده بامانة واخلاص فيتحتم علينا ان نربي ابناءنا تربية قومية صالحة . وان نغرس في نفوسهم الاباء والشمم والميل الى الاتحاد والتضامن . وان نمرنهم على النشاط والاقدام وعلى الخصوص ان نعلمهم اعتبار ابناء الوطن الواحد اخوة واصدقاء دينهم واحد ولغتهم واحدة .

السبيل السابع ـ التضحية ـ

بقدر ما تكون التضحية كبيرة بقدر ذلك يكون النجـاح مضمونا والنتيجة حسنة . لا تنال السعادة بالاقوال التي لا طائل تحتها بل بالتضحيات الكثيرة من وقت ومال ورجال

المقالات والخطب مفيدة جدا لتنوير الاذهان ولكن الامة التي لا تضحي بشيء في سبيل كرامتها وعزها هي امة جديرة بالذل والفناء . فلا بد حينئذ للمسارعة وبذل النفس والنفيس والتضافر على رفع شان مستقبلنا فالوقت قد حان للبذل والتضحية . فليس تاخر المسلمين وانحطاطهم إلّا من حب الدنيا ونقد العزائم وعدم التضحية بما حرضهم عليه كتابهم العزيز . فالذي ينقصهم الاعمال والتواصي بالحق والتواصي بالصبر . اقتصر المسلمون على اداء الواجبات الدينية من صلاة وصيام وتركوا الواجبات الاجتماعية من اعانة عاجز ومعوز وغير ذلك من الفضائل التي بعثت الامة العربية من خمولها الاول الى ذروة جلالها التالي فقد ضربوا عنها صفحا مع انها لباب الدين وروح الاسلام والغرض الوحيد من انزاله تشريعه وانك اذا تدبرت ايها الاخ الكريم جميع الايات القرءانية والاحاديث النبوية الواردة في الواجبات الاجتماعية لظهر لك ان الاسلام جاء لصلاح الدين والدنيا معا وفي القرءان « ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة » « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كمـا استخلف الذين من قبلهم » « وقيل للذين اتقوا ما انزل ربكم قالوا خيرا للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الاخرة خير ولنعم دار المتقين » ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس خيركم من ترك دنياه لاخرته ولا آخرته لدنياه بل خيركم من اخذ من هذه وهذه » اما الانقطاع للعبادة فليس من مقررات الاسلام قال تعالى « ولا تنس نصيبك من الدنيا » وفي الحديث : من تبتل فليس منا . لذلك نرى من الجهل الفادح ان نجعل الناس قسمين قسم يسمى باهل الدنيا والاخر باهل الاخرة . فهذا التفريق بين الدين والدنيا مناقض تمام المناقضة لمبادي الاسلام من كل وجه ، ومعارض لاوامره فان الاسلام دين عام موفق بين مطالب النفس والجسم يحض على فعل الخير وعلى الكسب والعمل ويردع عن الخمول والكسل فهل نحن مضحون باوقاتنا واموالنا في سبيل عزنا ومجدنا ؟ ام نتمنى على الله الاماني ، ونحن قـاعدون ؟! فالشرف والمجد ، والعزة ، وسعادة الحياة الدنيوية والاخروية لا تاتي عفوا بلا تعب

ذريني انـال مـا لا ينـال من العلا ٭ فصعب العلا في الصعب والسهل في السهل

تريدين ادراك المعالي رخيصة ٭ ولا بد دون الشهـد من ابر النحل

فهذا الشاعر يحدث نفسه فيقول دعيني ايتها النفس اسعى الى طلب العلا . فادراك المعالي لا يكون بالكسل والنوم والقليل من الجهد فلا شيء من ذلك يكسب صاحبه جني النحل وهو الشهد [يتبع]

الاصلاحُ الاجتماعى

تابع لما قبله

بقلم الاستاذ سالم بن حميده

ومع ذلك لم يتسن للبشرية الضالة المضلة ان تفلت من ربقة الشرك والاشراك ذلك الظلم العظيم الذي سلطه الله عليها اجل شأنه جزاء كفرانها لما يريده منها لوحدة خالصة وتوحيد سالم حنيف تسمو به الى حفظ كرامتها وحرمة ذاتها في حرية واستقلال يحفلان كل فرد فرد منها . وحدة كريمة محترمة حرة مستقلة تألف وتوالف فيكون منها بعد تآلفها مجتمعا بشريا صالحا كما كونه الله تعالى على يد محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يوم ظهور الاسلام بايمانه ووحدته وتوحيده على اصناف الشرك الظاهر والخفي والى حد مقتل علي وعثمان .

لذلك ارى ان لا سبيل لاصلاح مجتمعنا التونسي اصلاحا اجتماعيا صحيحا مجديا موطد الاركان إلا اذا رجعنا في ايماننا بكرامتنا وبحرمتنا الذاتية وحريتنا واستقلالنا الشخصي الى الوحدة المتناسبة المتانسة المتناسقة ولايتم لنا ذلك إلا اذا كونا لنا ولنشئنا ايمانا خالصا بالله تعالى سالما من الشرك الظاهر والخفي حنيفا نقيا من اوضار الخوف وادران الطمع والتسفل والمهانة والذل والابتذال لغير الله .

واذا كان الايمان الخالص بالله تعالى وحده ربا يصح ويجمل بالحر المستقل ذي الكرامة والحرمة الذاتية ان يحصر فيه همه وخوفه ورجاءه دون سواه واذا كان هذا التوحيد الخالص يعيذ الانسان من شر العبودية للنفس والهوى ولكل ما يرى ويسمع ويلامس ويجانس فلا غرابة في صيانته لكرامة البشر من الرق ولابدع ان حمى حرمته من شر العبودية والذل والهوان والابتذال ولا نكر على من يرى فيه مناط الحرية والاستقلال ولا غرابة ولابدع ولا نكر على من يقول ان التوحيد الخالص هو مناط الاصلاح الاجتماعي في كل مكان وفي كل زمان وفي كل الاجيال والاقيال .

وان المجتمع التونسي بالاخص والمجتمع الانساني عموما لا يصلح جميعها إلا اذا كان اكسير اصلاحه وقوامه ذلك التوحيد الموحد لجهود الساعين لما به يتوحد فيحي ويسعد جنس الانسان

فجدير بمن يربو بكرامته عن ان تخنع للسماوات والارض وما بينهما إلا بحق واحد يستحق ذلك وخليق بمن يحمي حرمته الذاتية من الخشوع لكل ما يدخل او يمكن ان يدخل تحت قيد حسه وتصوره

وتخيله وادراكه إلّا بحق ذلك الحق الواحد واجدر بمن يكلا حرمته من الامتهان لخير يناله او شر يصيبه من غير طريق هذا الحق الواحد واخلق بمن يصون استقلاله من التلاشي في مهرب زغزغ الرجال من مثله ايا كان وفي منحدر تيار الخوف ممن يشبه كيف خلق ان يكون عبد الله الحق الواحد الذي لا يسعه إلّا قلبه المؤمن الطاهر من ظلم الشرك العظيم ورجسه حرا مستقلا كريما محترما لا يألف ولا يتألف فيؤلف إلّا حرا مستقلا كريما محترما .

ولمثل تكوين هذا الايمان في نفوس البشر فليعمل العاملون لاصلاح المجتمع لانه هو هو الدعامة الاولى في بناء كل عمل صالح وهو هو الحجر الاساسي لكل اصلاح وصلاح وهو هو الحد الفاصل بين الحق والباطل والموت والحياة والسعادة والشقاء والجنة والنار .

وناهيك بايمان يخضع العادات والتقاليد والعلم والتعليم والاديان والحكمة والفلسفة والقوانين والعمل والمال والاسرة والحياة الزوجية والمرأة والرجل والآداب والاخلاق والعليل وطبيبه والقاضي والسلطان والخادم والمخدوم والمالك والمملوك والخير والشرير والمتسول والمسؤول والشريك وقسيمه والثروة والفقر والصانع وصنعه والعامل وعمله والريفي والمدني والجمعية والفرد والراعي ورعيته واللهو والجد والدجل والاخلاص والشاهد والغائب لسلطان واحد حرم الظلم على نفسه كما حرمه على الكل واستوى الكل امامه فما هو إلّا سلطان الله تعالى الاله الحق الواحد الاحد الفرد الصمد الذي يؤمن به القلب الطاهر والضمير المستقل والوجدان الكريم الحر المعتز بجلال الحق في كل حال وبأي زمان ومكان ايمان كهذا الايمان يحرر الانسان من كل شرك يدخل عمله وفكره وسعيه وكسبه واحلامه وامانيه فلا يعمل إلّا للحق الذي يجب ان يعمل له تحقيقا للوحدة والتوحيد ولا يفكر إلّا فيما ترتضيه الوحدة والتوحيد ولا يسعى إلّا له ولا يأمل إلّا اكتسابه ولا يحلم إلّا به ولا يمني النفس بسواه هو الاحق بأن يكون وحده لباب الاصلاح الاجتماعي وجوهره الفرد الذي لا يخلق خلق بسواه :

فهل للشباب المسلم ان يثق بما اودعه الله فيه من كرامة ويعتمد على ما خصه به من جليل حرمه ويعانق الى الابد ما افرغه الله عليه من سوابق حرية ويتدرع بما مكنه منه من استقلال شخصي ويومن باستخلاف الله تعالى له في ارضه فيرضى بما منحه اياه ويرضيه ويوحده تعالى توحيدا خالصا نقيا ينحصر به خوفه ورجاؤه وطمعه وامانيه فيه دون سواه ثم يبحث ببصره وبصيرته عما وسع الله تعالى ليسمعه حتى لكأنه يراه ويناديه على لسان نبيه فيخاطبه على عرش خلافته « انها لا تسعني السماوات والارض ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن »

لعل الشباب المسلم يثق بالله تعالى وبما اودعه الله فيه واختصه به يجاهد في سبيل الله تعالى للتخلص من ربقة كل شرك فيعانق حريته ولعله يرفض الاستناد الى سند او دعامة غير ما وسعه قلبه من اجلال حرمة الاله تعالى وحرمة خلافته فيحرز على استقلاله بحول الله تعالى .

اي وربي لو هدى الله تعالى الشباب المسلم لنور الوحدة والتوحيد ونزهه عن ظلم الشرك العظيم المضر به وبجنبه لوسع قلبه ربه ولسمعه يناديه « ما تقرب الي عبدي بشيء احب الي مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سالني لاعطيته ولئن استعاذني لاعيذنه »

والله ارجو ان يلهمنا جميعا لمثل هذا الايمان لنكون ذرة من نواة هذا الصلاح والصلوحية للقيام باشادة هذا الاصلاح

ابو النجاة سالم بن حميدة

التاريخ

ابو الحسن الشاذلي

تماكت

٥٨٣ — ٦٥٦

هو علي بن عبد الله. وقد روى نسبه بالغا الى فاطمة الزهراء منبع الشرف. ويكنى (ابو الحسن الشاذلي) نسبة لشاذلة (١) ومن نسبته هاته اشتهر هذا اللقب واصبح اسما وعم استعماله في تسمية الناس في تونس ومصر وما اليهما . ولد سنة ٥٨٣ ابان صولة الموحدين الذين اتموا امتزاج عناصر المشرق والمغرب في افريقية بموجة اخرى آتية من المغرب نحو الشرق

وقد نص كتاب مناقبه على انه ولد في « مغارة » (٢) من القبائل المغربية الشهيرة ، فهو وصل تونس ضمن تلك الموجات المتدفقة اذاك من قبائل المغرب « وصل تونس صغيرا وخرج منها الى سياحة » في طلب العلم فركب من ثغر المهدية ، فنزل الشام ودخل بغداد من العراق فلقي شيوخا مذكورين من اهل العلم ومن تلامذة شيخ الاسلام عبد القادر الجيلي (٣) ثم رجع اثر تمكن الخليفة الناصر من تمهيد افريقية واقامة امير بها من قبله عليها هو المولى عبد الواحد حفيد ابي حفص احد العشرة المقربين من المهدي ، والذي اسس الدولة الحفصية

دخل صاحبنا المغرب الاوسط وساح فيه سنة كاملة ثم آب لتونس العاصمة فلم يطب له المقام بها

(١) كانت من ضواحي مدينة تونس وكانوا يتهمون اهلها لعصرها بسرقة الحمير وتدليسها انظر صحيفة ٧ و٨ من كتاب درة الاسرار وتحفة الابرار . والذي نعرفه عن لفظة «الشارنة» اسم لقبيلة من القبائل البربرية النازلة اليوم حول مدينة الكاف ولا يزال فيهم وفي اجوارهم الفوازين صناعة صبغ الحمير حتى انها قد تباع الى صاحبها نفسه فلا يعرفها حتى تنصل عنه الصباغ بعد اشهر وهم يسمون الشوارنه

(٢) المشهور مغراوة والنسبة المغراوي

(٣) من علماء الاسلام جمع بين علمي الظاهر والباطن ومن اشهر تلاميذ الجيلي الذين اخذ عنهم الشاذلي «ابو الفتح الواسطي ولد سنة ٥٣٠ ومات سنة ٥٦١»

فلجأ اولا للاقامة بشاذلة « صحبة شيخه الغوث ابي محمد عبد السلام بن مشيش » ومنها انتقل الى جبل زغوان فكان يقيم قريبا من العين الشهيرة به وكان الجبل عامرا ثريا بالبساتين والانعام ومدينة زغوان منزل العلماء والادباء الذين يميلون الى العزلة عن مراكز النفوذ والحياة على حاشية الحضارة، ولو في فصل من السنة، وكان مثابرا على النزول الى المدينة يوم الجمعة لحضور الجماعة في الجامع وهناك عرف وذاعت شهرته ونسب لشاذلة، وهناك فارقه شيخه واستاذه بعد ان اكتسب منه منابع الكمالات واقتبس الاسلوب والجرأة فتصدر للكلام بما استلفت الانظار.

ثم نزل مدينة تونس من جديد، وهو لم يتخط عتبة الثلاثين « وكان آدم اللون نحيف الجسم طويل القامة خفيف العارضين طويل اصابع اليد كانه حجازي (١) » وكان فصيح العبارة طلق اللسان واسع التشبيه رحب الصدر مغرى بالابانة والايضاح والتعمق وتبسيط المطالب الكبيرة للعموم، دون ان يتنازل عن اعراب اللفظ او يتورط في الاغراب. مع ان عجمة اللهجة البربرية كانت سائدة بتونس التي لم يتزلها الفتح العربي راسا ولا اتخذها مركزا بل تركها على مقربة من قرطاج ـ ليسكها الدهر في سمط العروبة على مهل، في منجاة من التيارات الدافقة اللهم إلّا فيوضات معدودة خرجت فيها الحملة بالوادي عن حدوده. وانما اكبر ما مسها من حملة الاسلام تاثل بني خرسان فيها لعهد صنهاجة ... ولم تترك في تاريخ الثقافة من اثر منظور... حتى وصلتها النوبة الصنهاجية بموجة الشعوب المستعربة ابناء المغربين وزعماء الموحدين احفظ ما يكون على ارتداء العربية ورقي مجد الاسلام. وكتب الرحلات والاخبار تدلنا كما درسناه في مناسبات على تدرج من المصلى الى حلقة الدرس ومن حلقة الدرس الى محكمة القاضي الى مجالس الولاة حتى تصبح لغة السوق والشارع ثم تعم المنزل والبيت. قاضية على الرطانة البربرية واللاطينية التي كان التعليم العربي يقشع منظلها شيئا فشيئا ومع ذلك فقد انتشرت العربيه وعمت السوق والطريق من عاصمة بني حفص ولكنها كانت جديرة في السنتهم بدخائل وآثار بينة في مخارج الحروف وفي كلم متاصلة ... فهي في السن العامة لهجة على نحو مما نلحظه اليوم

انما استلفت ابو الحسن الانظار باجتذابه العامة لحضور مجلسه. وكان يتحدث فيها بلسان الخاصة من اهل السيادة والنهضة والعلم، احاديث جذابة ليست هي العلم المدون ولا هي الوعظ المجرد الذي كان له خطباؤه وحلقاته ورواة رقائقه (١)

فقد كان يعمد الى آيات القرآن الكريم فينزلها على المعنويات والالهيات وما يسميه بالعلم الباطن والفقه الرباني ولو كانت من آيات المعاملات والقصاص فيكون لاستظهاراته تلك دويا مسموعا

(١) درة الاسرار ص ١٤٦

(٢) الرقائق قصص صغيرة تنتهي بالموعظة او كلمة الحكمة من حوادث الصالحين وقد تكون ابيات زهدية واكثر مؤلفاتها بين القرنين الرابع والسادس

بين العامة وانصاف الفقهاء وحتى طلبة العلم الذين اخذوا يتقلقلون بما سمعوا، فاستلفتوا انظار الفقهاء وشيوخ معاهد العلم في هاته العاصمة الجديدة

فثار اركان العلم وفسقوا صاحبنا وتهموه بحمل كلام الله على غير محمله وما انزل له. خصوصا عندما اصر على معرفة كنه (الروح) (١) فقد عقد له مجلس مناظرة حضره علماء تونس وتولاه ابو القاسم ابن البراء قاضي بني حفص وعالم تونس (٢) وقد نقل المؤرخون ان العلامة قد تجرأ على الشيخ الصالح وان العامة قد انساقت في تيار معاد اضطرت الشيخ للالتجاء الى مغارة فوق مقبرة الجلاز يتعبد فيها ويقصده مريدوه لا يخرجون منها إلّا الى اعلا الجبل من حيث يشرفون على البحيرة والمدينة من بعد

ومع ذلك لم يلبث الامير الحفصي ان امر باخراجه عن افريقيا . فاذا بالشيخ يلجو الى الامير ابي عبد الله محمد اللحياني وينزوي في قلب داره داخل بستانه الخاص خارج المدينة «العاصمة» فاستدعى الملك اخاه وقال له « إن مشائخ الشورى قد ابدو شيوخ العلم . وليس لنا نحن ان نحمي من لا يحبون بقائه في بلادهم » فخضع اللحياني للارادة التنفيذية العليى وخرج مشيعا لصاحبه حتى الساحل حيث ركب ابو الحسن من ثغر سوسه متجها للمشرق .

نزل مدينة الاسكندرية فصادف فيها خير تربة من اللاجئين من المغاربة والافارقه فئة حركة ابن غانية واللاجئين من كبار الموحدين وزعماء الغاضبين من الاحتكاك المريني والنشأة الحفصية ووجد كل هؤلاء من الطريقة الربانية وحدة تجمعها حول بعضهم ولا تنذر الدولة القائمة بمصر بخطر سياسي. ونرى الشيخ قد وضع هنالك اساسا على غاية الحكمة والمرونة لطريقته التي وجدت التربة الخصبة ولعل من المناسب ان نلحظ من بين مريديه الذين التفوا به وظاهروه عنصرا على غاية الاهمية من الناحيتين الفكرية والمالية ، ذلك هم بقاي الفاطميين من متأثر المغاربة في مصر ، فان دولتهم لم يمض على انقراضها اكثر من نصف قرن هناك وقد كانوا وزراء الدولة وقوادها ومحظوظيها فألجاهم تبدل الظروف الى الابتعاد عن القاهرة ومظاهر التعصب السياسي فلا غرابة ان يجد جياهم الثاني في طريقة الشيخ ملاذا ومعادا وخطة ربانية ينصرفون اليها بنفوسهم ويؤيدونها بعطاياهم .

هناك تزوج الشيخ واقام لنفسه دارا رحيبة انسته مغارة الجبل وابتني خلوة وسط العمران يتصلها اصحابه الكبراء من قرب ... ويحدثوننا ان الفقهاء في تونس لم يكفوا عنه اذ بلغهم ما انقلب اليه فكتبوا لملك مصر وذكروا الاسباب التي استوجب الطرد على رأيهم ولم ينسوا في مذكرتهم

١ ـ انظر درة الاسرار ص ٣٢ ـ ٢ ـ ابن البراء نراه في التاريخ يقرأ بيعة مكة المكرمة للسلطان المستنصر الحفصي ٦٥٩ توفي على القضاء ٦٧٩

تلك ان يقدحوا في ما بلغهم عن انتسابه للشرف النبوي من طريق ابنة النبي فاطمة الزهراء زوجة علي لا مزين انه جهارا بإيقاظ الدعوة الشيعية التي قضى على ملوكها دولة المماليك » فهو يتقرب الى الشيعة بنفسه وطريقته المرتكزة على الباطن »

والتاريخ يقدم لنا الشيخ ابي الحسن وقد اصبح في مصر رئيسا وممثلا لاصحاب الاراضي والمنافع المرتكزة على التقاليد القديمة ، اذ نراه يصعد الى القلعة مقر الحكومة الايوبية حذو القاهرة مترأسا لوفد اللمتونيين من اهل المغرب المتوسط المتأثلين بمصر طالبين من الملك ان يبقي على منحهم في الاراضي بالوجه البحري من صعيد مصر فيما بين القاهرة والثغر ونرى كتاب المناقب يهتلون حادث توفقه في هاته المأمورية لكتاب صفحة من كرامات الشيخ رضي الله تعالى عنه وان لم يخفوا ما في بقاء الافارقة في مناطق الرباط من حماية لبلاد النيل . وبالفعل فان ابا الحسن لم يخرج من ديوان الملك إلّا بوثائق احترام بقايا اللمتونيين مع منح الطريقة الشاذلية في شخص رئيسها جميع البرج القديم من سور الاسكندرية فانتقل الشيخ اليه حالا ورتب فيه السبت والاذكار الليلية الدائمة

العودة الى تونس

يوم ٢٢ جمادى الاخرة ٦٤٧ توفي الامير أبو زكرياء الحفصي وسط جيشه على مدينة بونه وتولى اخوه الامير محمد اللحياني (صديق ابي الحسن وحاميه) اخذ البيعة لابن الهالك المستنصر بالله

فاذا نحن بابي الحسن يطوي كل شيء بين يديه في مصر ويركب لتونس فوصلها في رمضان المعظم لسنتها، واشترى لنفسه دارا «بالربض الاعلى من المدينة خارج باب الجديد في بطحاء الشعارين» واقام للاخوان خلوة يجتمعون بها لسماع الشيخ وقبول ارشاداته

وفي هذه الحقبة اصطفى الشاب احمد بن عمر بن علي الانصاري من مهاجري مدينة مرسية بالاندلس الذي اشتهر في مصر من بعد باسم «ابي عباس المرسي» وهو في العشرين من عمره فـاصطفاه الشيخ مريدا حتى كان له من بعد اكبر خليفة في المشرق

الهجرة من جديد

ثم نرى الشيخ ابا الحسن يتعسف صحراء طرابلس راجعا في جماعة من الزهاد الافارقة سنة ٦٤٨ والناس تتجافى الركب ولا تقابله بالمعروف فضلا عن الضيافة! الى ان جاز طرابلس، بل حتى اضطر الركب الى الانقسام عن الشيخ ولم يبق معه إلّا اخص مريديه

والظاهر ان صلات الشيخ مع الامير اللحياني التي كانت قد ارجعته من مصر الى تونس مؤملا مكرما، هي نفسها التي اخرجته من تونس على غير طريق!

فأننا نعرف ان المستنصر بالله الحفصي الشاب، ما كان يقتعد عرشه حتى قتل عمه اللحياني واستأصل اتباعه ومن اليه، إلّا من لاذ منهم بالهروب

ثم اجتمع ركب الزهاد الافارقة عند عمود الصواري من الاسكندرية اوائل سنة ٦٤٩ والشيخ ابو الحسن ينشد قصيدته التي يقول فيها

لو سالمتنا تونس من اذاها . . . كانت لنا دارا ونعم الدار
لا يشهدون لفاضل بفضيلة . . . وهم لكل ضلالة انصار

ومن يومها ينزع الشيخ عن نفسه حلم الرجوع الى وطنه . معتنيا بتأليف احزاب طريقته وتحقيق نظمها وترتيب اتباعه وتربية بناته وبنيه وتثقيفهم ثقافة علمية وصوفية

ومما عرفناه ان الملك في مصر لم يخصص للحصن الذي اقتطعه للشيخ ، شيأ. ولا رتب له طعاما. ومع ذلك فقد كان الشيخ واسع الدنيا طلق الكف « ينفق عن الفقراء مما لا تنفقه الخوانق المرتبة» ويطعم فيها الفطائر بالعسل صباحا والطعام (الكسكسو) باللحم عشاء بل رأينا بعض اصحابه المنتسبين اليه وقد تورط ابنه في عشية ، فاستنجد بالشيخ ان ينقذ إبنه من ان تخرج عينه . فلما جاء الشيخ امتنع اصحاب الحق من قبول شفاعة الشيخ . الا ان يؤديها لهم ٥٠٠ خمسمائة دينارا ذهبا (حول المليون فرنك تصرف اليوم) فأخرجها الشيخ لحينه لاناس من الاعراب الراحلين ، ثم « دعى عليهم ان لا ينتفعوا بها . فرحلوا من عشيتهم. ثم لم يلبثوا الا يومين حتى رجعوا واذا بقطاع الطريق قد باغتوهم ليلا واخذوا جميع ما معهم من المال ». وكان يعتني بالجالية الافريقية والمهاجرين منهم فيخلع عليهم اكسيته الرفيعة ويكلف بهم من يحسن تدريبهم وتربيتهم وربما قدم لهم الاموال لاقامة متجر لهم. وله من ذلك في كتب المناقب حادثات اعتبرت من كراماته ومناقبه المباركة

ولقد تأثر الشيخ وصاهر بناته نخبة المتمصرين واقبل الناس على طريقته وحلقته

ولما كبر حدث عليه ما اتلف بصره . وكان تلميذه ابو العباس المرسي « يتكلم بجامع العطارين بالاسكندرية فقطع عن حلقته وجاء لشيخه » متفجعا . فاذا الشيخ مطمئن لقضاء الله وقال « لاتجزع . فلقد انعكس بصري على بصيرتي فلم آخذ ابصر الناس حتى لا ارى إلّا الله! انكم اصحابي افضل من في زماني وافضل اصحابي انت فلاروتنك خير ما اعطاني ربي . ولتكونن بعدي صديقا » وكان صاحبه اذ ذاك لم يبلغ الثلاثين من عمره

واخيرا فان الشيخ خرج الى الحج ، فتوفي في حميثرة ببرية عيذاب على طريق الصعيد (١) المصري اوائل شهر ذي القعدة سنة ٦٥٦ وهو ابن ٦٣ سنة

(١) ـ الوافي بالوافيات ج ١٩ الورقة ٩٣ خطية المتحف البرطاني

ابنـــاء الشيخ

كبر للشيخ خمسة ابنـاء حفظ التـاريخ ذكرهم ذكورا واناثا وقد حرص الشيخ على تعليمهم

١ ـ السيدة ام الخير . ولا نعرف عنها إلّا انها تصدرت لتدريس علم التجويد وادائه بعد ان توفي عنها زوجها . واعمرت حتى سنة ٧١٥

٢ ـ زينبا وهي ابنته البكر . ولم يشتهر عنها شيء من الميل الى التصوف فيما خلده كتاب المناقب وقد زوجها والدها من احد كبراء مريديه الذين التـفوا به لاول نزوله مصر وهو الشيخ شرف الدين فكان الزوج يصلح ان يكون ابا الصبية فلقد ولدت امامه ايام كان منقطعا للطريقة الشاذلية وهو متزوج لمرأته الاولى حتى اذا ترعرعت ابنة الشيخ وشبت خطبها فاعطاها له وطار بالشابة الكاعب الى بلدته دمنهور منقطعا بابنة الشيخ عن الزاوية وانما نرى منزله في دمنهور قد اصبح ملاذا لاصحاب الطريقة وكلما شرقوا عن الاسكندرية يجدون فيه المنزل والضيافة من صهر الشيخ« يرسل لهم بطعامهم وشرابهم من فضل الله ولا يزورهم إلّا قليلا ولا يسـالهم ارتحالا »

كما نعرف له من الذكور ثلاثة

٣ ـ ابو عبد الله محمد شرف الدين . فكان يقـيم في دمنهور اذ تزوج ابنة زوج اخته من زوجته الاولى ولا نعرف عنه شيئا آخر

٤ ـ ابو العبـاس شهاب الدين احمد ونعرف له رسالة ومنظومة في مسالة الروح والنفس على روي النون مطلعها : ان كنت تسالني عن خـالص المنن * وعن تآلف ذات النـفس بـالبدن

وقد توفي سنة ٦٨٥ بالاسكندرية وكان من العلماء الزهاد

٥ ـ ابو الحسن علي ، وهو الذي رجع الى المغرب واسس الطريقة الشاذلية فيه ، ومع ذلك فـقد كانت له في بدايته حالات رواها كتاب المناقب قـال الشيخ ابو العزائم ماضي« لقيته بالاسكندرية سكرانا بالخمر فاتيت به للدار وضربته ضربا وجيعا حتى تعلق بامه فجذبته جذبة حتى خرج بخيوط راسها في يده ، نصاحت وبكت فدخل عليها الشيخ وقال لها ما يبكيك . فاخبرته بالقصة ولم تخبره بسكره فتغير الشيخ لذلك فلما دخل الزاوية قال لي : يا ماضي لما قلت كذا وكذا ؟ قلت لاني وجدته سكرانا والله لو تعلق بك لجلدته الحد . فقال لي : هكذا هو ? وتغير وجهه ودخل الخلوة ساعة واستدعـاني فدخلت عليه ووجدته فارحا مستبشرا فقال لي يا ماضي دخلت وهممت ان ادعو على ولدي فقيل لي يا علي مالك ولولي دعه حتى ينفد ما قدرت عليه ... ! (ثم قال ابو العزائم) فـلم تمض إلّا مدة يسيرة حتى خرج في سياحة وظهر بارض المغرب وظهرت ولايته نفع الله به وبوالده » (١)

(١) كـتاب درة الاسرار ص ٢٠

احاديث فضل أفريقية

— ٣ —

ان احاديث فضل افريقية الموضوعة لم تقف عند العدد الذي ذكرناه بل هناك احاديث اخرى منها الحديث الذي في فضل المنستير عن ابي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بساحل قمونية باب من ابواب الجنة يقال له المنستير من دخله فبرحمة الله ومن خرج منه فبعفو الله .

روى ابو العرب هذا الحديث عن فرات بن محمد عن خلف بن محمد القابسي عن عبد الله ابن عمر بن غانم فمن ابي العرب الى عبد الله بن غانم هي السلسلة الافريقية ثم من بعد ابن غانم تصير شرقية ولا مرية ان وضع هذه الاحاديث لا يعدو الافارقة فلنبحث في مصدر الداء من هؤلاء .

اما عبد الله بن عمر بن غانم فهو ابو عبد الرحمن الافريقي قاضيها اخرج له ابو داود وروى عن ابن انعم ومالك بن انس واسرائيـــل بن يونس وداود ابن قيس وابي يوسف . ولم يرو عنه إلّا العنبي لقيه بالاندلس .

ومن الناحية التحديثية الناس فيه بين رجلين فمن ذاهب إلّا انه مجهول وهو ابو حاتم الرازي وابن حبان في الضعفاء واسرف حيث قال روى عن مالك ما لم يحدث به مالك قط لا يحل ذكر حديثه ولا الرواية عنه في الكتب إلّا على سبيل الاعتبار وذكر له عن مالك عن نافع عن ابن عمر رفعه الشيخ في بيته كالنبي في امته وهذا موضوع .

ومن ذاهب الى خلاف ذلك وهو ابن يونس حيث قال هو احد الثقات الاثبات دخل الشام والعراق في طلب العلم وابو داود حيث قال واحاديثه مستقيمة :

والرأي الحكم بين هؤلاء قد تصدى له عالمان جليلان الاول الذهبي لما ذكر الاحاديث الموضوعة المنسوبة اليه قال ولعل الآفة في الخبرين من عثمان صاحبه ومراده بالخبرين حديث الشيخ في بيته كالنبي في امته المتقدم والثاني ما من شجرة احب الى الله من الحنـــاء والذي تردد فيه الذهبي جزم به ابن حجر حيث قال ولعل ابن حبان ما عرف هذا الرجل لانه جليل القدر ثقة لا ريب فيه ولعــل البلاء في الاحاديث التي انكرها ابن حبان ممن هو دونه .

وازيد على ما نسب اليه من احاديث ابن حبان هذا الحديث فلعله ما نسب اليه لكن يعكر هذه التبرئة

ما ذكره ابو العرب في ترجمته ما حدث به عن ابن ابي الليث قال كنت مع علي ابن ابي زياد امشي بالقيروان فلقينا ابن فروخ فصد عنه علي بن زياد فقال له ابن فروخ يا ابا الحسن لم صددت عني فقال انت المشير بابن غانم فقال والله ما اشرت به انما سئلت عنه فقلت ما اعلم إلّا خيرا فقال له علي بن زياد مع الانكار واي خير مع الكبر والكذب والله ما صدق في حسبه ثم ولى .

فعلي بن زياد من اهل قطرة رماه بالكذب وهو اعرف به من ابن يونس الكوفي الذي ربما اجتمع معه على شيخهما اسرائيل بن يونس .

على انه مما ينفي رواية خلف بن محمد القابسي عنه ان ابا داود يقول انما اعلم حدث عنه غير القعنبي لكن ابا العرب يذكر في ترجمة خلف انه اخذ عن ابن غانم .

وخالف هذا وصفه ابو العرب نقلا عن سحنون انه لم يبدل ولم يغير فمصدر العلة في كتب ابي العرب هو فرات . فقد اضحى هذا الفرات اجاجا .

نجتزيء بهذا القدر في الاحاديث الموضوعة منتقلين الى ما صح منها ذكر ابو العرب حديثا عن ابي عثمان الهندي عن سعد ابن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة .

وهذا الحديث عينه رواه مسلم بالسند نفسه قال حدثنا يحي ابن عيسى انبأنا هشيم عن داود بن ابي هند عن ابي عثمان عن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال اهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ولم يقع اختلاف بين الروايتين إلّا في قوله اهل المغرب فعي ابي العرب اهل المغرب بالميم وفي مسلم اهل الغرب وفي فتح الباري ووقع في بعض طرق الحديث المغرب بفتح الميم وسكون المعجمة وهذا يرد تأويل اهل الغرب بالعرب .

ثم ان العلماء اختلفوا في معنى الحديث واليك عبارة القاضي عياض في مشارق الانوار وفي الحديث الآخر لا تزال طائفة من امتي ظاهرين وهم اهل الغرب ولا يزال اهل الغرب قال يعقوب بن شيبة عن علي بن المديني الغرب هنا الدلو واراد العرب لانهم اصحابها والمستقون بها وليست لاحد إلّا لهم ولاتباعهم وقال معاذهم اهل الشام فجمله على انه غرب الارض خلاف الشرق. والشام غرب من الحجاز وقال غيره هم اهل الشام وما وراءه. وقيل المراد هنا اهل الجرءة والاستصار في الجهاد ونصرة دين الله والغرب الحرة وذكر بعض المتأخرين ناقلا انهم اهل بيت المقدس ويؤيده ما وقع عند احمد من حديث ابي امامة انهم ببيت المقدس وجاء في كتاب التشوف الى رجال التصوف للشاذلي ان المراد من اهل المغرب المعروف قال ومن تأول قوله عليه الصلاة والسلام على ان الغرب الدلو وانه اراد اهل الغرب وهم العرب يطل

خطاب سماحة الاستاذ الاكبر

[بقية ما بصفحة ٨]

نتوخى لهم مـا يجمع بين بذل النصيحة . وبين مراعـاة ازمانهم الشحيحة . فربما اعقبنا العقوبة بالعفو الجميل .واتبعنا الحرمان بالتاجيل . عسى ان يكون مزج اللين بالحرص لنجاحهم خير كفيل كمـا قـال القاضي الفـاضل .

ما ناصحتك خبايـا الود من رجـل ✽ ما لـم ينلـك بمكروه من العذل

محبتي فيـك تابى ان تساعدني ✽ بان اراك على شيء من الزلـل

على ان هذه الصعوبات الجمة التي اعترضت سير التعليم قد كان الكثير منها نازلا على جـوهر برنامج التعليم . مما عرض المشيخة في تذليلها لملاقاة العناء العظيم .

واهم ذلك ما لاح في فقدان كتب الدراسة والحاجة الى محلات التعليم فاعتمدنا في جبر نقص الكتب على همم فضلاء الامة الذين امدونا بنسخ قلائل من الكتب المقررة في البرنـامج امكن ان

تأوله ما رويناه من طريق يحي ابن مخلد في مسنده قال اخبرنا يحي بن عبد الحميد قال حدثنـا هشام قال حدثنا داود عن ابي عثمان النهدي عن سعيد عن النبيء صلى الله عليه وسلم قال لا يزال اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة او ياتي امر الله وخرج الدار قطني في فوائده الى سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق في المغرب حتى تقوم الساعة

وايد هذا الراي بالرسالة التي بعثها ابو بكر الطرطوشي نزيل الاسكندرية الى بعض ملوك مراكش ذكر فيها بعد ان ذكر الحديث هل ارادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم او اراد بذلك جلـة من أهل المغرب لما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين والانتماء لآثار من مضى من السلف الصالح رضي الله عنهم ؟

وبالطبع نحن الافارقة الذين يقطنون المغارب نميل الى ما مال اليه صاحب التشوف ومع ذلك يبعد الجمع بين هذه الاراء ولكن الحق احق ان يتبع فان ما اشار اليه القاضي في المشارق من انهم اهل الحدة والاستصار هو المتعين عند التامل

محمد الشاذلي النيفر

توفي بها حاجة الشيوخ في الجملة وفي مقدمة هذه الاريحيات نذكر اريحية جناب وزير الدولة الذي امد مكتبة الطلبة بعدد ذي بال من الكتب المدرسية لا زال عضدا للعلم وذويه .

وقد دعا هذا الحال الاضطراري الى توسيع دائرة املاء تلاخيص الدروس توسيعا كاد ان يشمل جميع مواد التعليم . وعلى ما اوجد هذا التوسيع من افراط في الاعتماد على احدى طريقتي الاملاء او المراجعة بالكتاب ومن مضايقة في الاوقات دعت في كثير من الدروس الى عدم البلوغ بالضبط عند المقادير المقررة فقد كان من جهة اخرى عونا على توجيه الطلبة نحو الناحية العملية التطبيقية وعلى تكوين دواعي التاليف والتصنيف للمشائخ المدرسين .

واما محلات التعليم التي عظمت مشكلتها بتوسيع دائرة التعليم الرياضي والاكثار من الاعمال التطبيقية في دروس العربية . وتعدد الفروع بالحاضرة وخارجها فقد توصلنا الى تخفيف الشدة بايجاد اقسام دراسية بالحاضرة وسوسة والقيروان ورجاؤنا ان نتمكن في العام القابل من نوال بنايات مناسبة وذلك ما تحصلنا فيه على وعود معتبرة من المراجع الحكومية هذا ما دخل في اختصاص المشيخة من الصعوبات التي ذللت في المنطقة الداخلية علمية وادارية وهنالك صعوبات خارجة عن اختصاص المشيخة ترجع الى الناحية التشريعية او الناحية المالية سعينا في علاجها بالاسباب وسلكنا لها من الابواب . فوجدنا من فضل الله تسهيلا عجيبا جعل منالها الاقصى قريبا . واكسب الهيئات التي اعانت على تحقيقها فخرا خالدا . يسجل لجميع افرادها واحدا واحدا . فقد وجدنا لدى اعضاء مجلس الاصلاح ورئيسه الهمام انقطاعا الى علاج المشاكل التي طرحت لدى انظار ذلك المجلس حتى توصلوا بمضاعفة الجهود وموالاة الاعمال الى وضع لائحة رفعت عن اجماع اصواتهم الى الوزارة الكبرى ليجري اللازم في عرض ماتظمنته على الطابع السعيد . وهي لائحة تتضمن اصلاح نظام الادارة ونظام المدرسين ونظام التعليم وامتياز الشهادات تذلل بها ان شاء الله ثلاث عقبات كاداء هي :

عقبة الميزانية المالية بتصيير مشيخة الجامع مستقلة في تحرير ميزانيتها وتصريفها .

وعقبة القيمة الدولية لشهادات الجامع بتنظيرها بما يقابلها من الشهادات الثانوية والعليا وما يقتضي ذلك بالاولى ان تكون اصغر شهادات الجامع وهي شهادة الاهلية محققة الاعفاء التام من الخدمة العسكرية الذي هو من حقوق الشهادات الابتدائية فضلا عن الثانوية . وعقبة التعليم التحضيري للجامع بحسب نظر المشيخة على عموم المدارس القرءانية والكتاتيب وهو المبدأ الذي خطونا نحو تطبيقه بالاتصال بالمدارس القرءانية الحرة وتخطيط برامجها وتفقد العمل بها .

على ان ناحية التسهيلات المالية لتقوم المقاصد الاصلاحية قد تم منها امر ذو بال بما لقينا لدى

السادة النواب الامناء اعضاء المجلس الكبير من بذل الجهود العظيمة في خدمة القضية الزيتونية والنضال عنها حتى تم تقرير جميع الاعتمادات اللزومية التي اقترحنا تقريرها في ميزان الدولة للعام الجاري فكانوا اللسان الناطق بالاعراب عن رغبة عموم الامة منوبيهم في شدة التمسك بهذا التعليم والحرص على إنهاضه وتوسيعه .

وان الوقت الذي مضى في تحقيق هذه التاسيسات المهمة لم يصد عن اطراد سير النهضة التدريسية والتنفيذات الادارية بما عم من التكاتف والاخلاص الذين وفقا بين المقاصد ومزجا بين الاشخاص فيما لقينا من العلماء الجلة افراد الهيئة التدريسية من الحرص والاعانة على تنفيذ البرامج والنظم التدريسية اعانة بلغت درجة الايثار على الصالح الذاتي ومزجت بين المشيخة وهيئة التدريس مزجا جعل هذه الهيئة مشاركة في سن كل عمل يرجع الى برامج التعليم ونظامه وانا لنرجو ان يدابوا على مواصلتنا بارائهم الصائبة . وكذلك من الشيوخ المكلفين بالتدريس في لمعهد وفروعه والاساتذة القائمين بتدريس الرياضيات والطبيعيات الذين اخلصوا في ايصال الطلبة الى الدرجات التي رجوناها . فكانوا محل الظن من الوفاء ببر الابوة التي اودعناها وقربوا بين الثقافتين الزيتونية والصادقية فقربوا من هذه الامة مناها . وكانوا في مقابلة الشيوخ الزيتونيين القائمين بالتعليم في الصادقية خير مظهر لصفاء الاخوة الاسلامية من كل شائبة منكرة من شوائب الطائفية والعنصرية .

واما الهيئة الادارية من حضرات الشيوخ الاعلام اعضاء مجلس الاصلاح المؤلفين للجنة المناظرات والامتحانات واصحاب الفضيلة الشيخين النائبين بالمشيخة والشيخ النائب بادارة امور المدارس ورجال الهيئة الشرعية المشرفين على ادارة فروع المملكة وسائر الموظفين بالاصل والفروع من المشايخ الكتبة ووكلاء الكتب والقيمين ومن الاعوان فلو اننا حاولنا شكرهم لكان لسانهم يثنى عليهم ومحامدهم تعود اليهم ولكنها النتائج تعرب عن اربابها والاعمال تزكي جهود اصحابها فقد كانت نتائج الامتحانات افصح ناطق بشكر الهيئتين يشهد لهما بما بذلا من جهد واستحقا من حمد . فقد شارك في امتحان شهادة العالمية في العلوم سبعة واربعون احرز منهم تلك الشهادة واحد وعشرون وشارك في امتحان العالمية في القراءات اثنان احرز كلاهما على الشهادة وشارك في شهادة التحصيل في العلوم مائتان واربعة وسبعون نجح منهم مائة وسبعة عشر وفي التحصيل في القراءات ثمانية احرز منهم على الشهادة سبعة وتخلف واحد وفي شهادة الاهلية اربعمائة وواحد وستون احرز منهم ثلاثمائة وثمانية وثلاثون . وانها نتيجة في مجلتها بهجة سارة تكافىء شرف هذا الجمع الذي اقبل على تلقيها بعناية تقوي همم محرزيها وتهيب بمن حولهم على ان يلتحقوا بهم فيدركوا مقاما نبيها ويفخروا

خطاب الشيـــخ المهيري

مفتي صفاقس

الذي القاه في حفلة ختم السنة الدراسية بجامع صفاقس

الحمد لله الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين ، وجعله سراجــا منيرا ارشادا للمكلفين ، واتم به على من اتبعه نعمته السابغة ، واقام به على من خالفه حجته البالغة ، صلى الله عليه وعلى ءاله واصحابه اجمعين

اما بعد فيا ايها الفضلاء الكرام واعيان بلد صفاقس العظام . ان تطور الاصلاح في الكون هو من وسائل الرقي الذى ينتضم به العمران ، وما تفوقت فيه امة إلّا عظم شانهــا وازداد اعتبارها بين الاقران ، وذلك لا يتم إلّا بافذاذ منها هم مصابيحها الذين تستطع اشعة حكمتهم في ديجور ظلماتها وتبعث هممهم ارواح من اديسوا منها في غفلاتها ، ولقد قيض الله للاصلاح العلمي بهذا القطر رجــل

بما لامتهم من العناية باكرام النوابغ من بنيها .

فباسم الهيئة التدريسية والادارية واسم عموم طلبة المعاهد الزيتونية اتقدم بشكر هذا الاقبــال العظيم الذي تكامل بحضور صاحبي المعالي الوزيرين الجليلــين لا زالا اقوى سند للنهضة العلمية في مقاصدها الخيرية واستنار بالهيئة الشرعية العلية عنوان الشرف العلمي والعدالة الدينية يتقدمها فضيلة جناب شيــخ الاسلام لازال في افق المعالي بدر تمام . وجناب شيـخ الجامع الاسبق الذي سجلت له عراص هذا البيت ذكريات مــا بذل في خدمته من نصح واستقــامة وما قرب لطلبته من نجح وكرامة وازدهر بحضور هذه النخبة الكريمة من قادة الامة ونوابها ورؤساء الهيئتين العدلية الموقرة والادارية المعتبرة ممثلي الصحافة الوطنية التي لها في توسيع صدى نهضة التعليم الزيتــوني اكبر مزية ورؤساء الجمعيات والمنظمات ووجوه الهيئات الحرة من العدول والمحامين والفلاحين والتجــار وارباب الصناعات فان التفاف هولاء الفضلاء حولنا يقوي الساعد ويكون على البراءة في بذل الجهــد خير شاهد ويدعنا نعتبر جميعهم شركاء لنا في شرف الخدمة ومعينتين على توجيهنا للعمل بصادق الهمة متواصين بالاخلاص لهذا المهم الخطير وتطهير النفوس من ادران التخاذل والتقصير ومراعاة حق الله في احتمال هذا العبء الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الحزم والتفكير ، وامام العلم والتحرير علامة هذا العصر ، ومفخرة هذا الدهر ، وعين انسان هذا القطر الحجة الفهامة البحر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الجامع المعمور فاخذ فيه بزمام التعليم وسار به في الطريق المستقيم وايده الله بروح منه وجعل له من لدنه انصارا ، وقوم به المعوج وسده به انظارا وفتح به اذانا وابصارا ، فتطور التعليم في بحر مدته اطوارا ، واينعت ثمرته كالبرق الخاطف ، وبلغت حجته وسارت في الافق سير الهاتف ، وبتلك الهمة الشماء قضى على ايام التراخي والاهمال . والزم كلا من المعلم والمتعلم ان يخلعا ثوب الضعف في الانتاج والاتكال وان يعتمدوا على نفسهم في جميع الاحوال تلك هي الاسباب القديمة الصحيحة والطرق الناجحة الصريحة فتاقت النفوس الى الورود من حياض العلوم واصبح كل يقول وما منا إلّا له مقام معلوم فاعجب به من تجديد ينشره العصر . وافخر به من تاييد جاد به الدهر ،كيف لاومصدره صدر شيخ الشيوخ المجدد على راس هذا القرن ، باعث روح الحياة في الامة ومزودها من جليل كل فن ، مسايرا بها قواعد شريعة الاسلام ، وناشرا للعيان صلاحية هذا الدين لكل زمان ومكان واقوام ، وها هو قد ابدى من خصائصها مجاملا القلوب بحقيقة ما تحويه من احكام ، ذلكم هو الرجل الذي يتبع اقواله بافعاله ويوفي بالعهد فيما ينتهجه من جليل اعماله ، وها قد اوفد الى فرعنا معاشر الصفاقسيين لجنة لاجراء امتحان الشهادة الاهلية ، وازال الحواجز المؤلمة للنفوس من عهد بعيد في هاته القضية وكانت على الكواهل اثقل من الجبال ، فانجابت عنها واجاب صوت الامة بمنتقى الاقوال ، وهذا هو اول امتحان يجري في هذا الجامع لشهادة الاهلية بطريق الكمال ، وهذا هو اول احتفال من نوعه تقيمه الامة من نفسها لنفسها اظهارا لحسن الاستقبال ، فالامة الصفاقسية التي تشاهدونها تشع افئدتها فرحا ببلوغ امانيها — وها هي ترى اولادها واكبادها قد ادوا شهادة كاملة ناجحة بين ظهرانيها ، وها هي الجمعيات العلمية والجموع من كل صوب تجيب صوت داعيها حيى الله تلك النفوس الطيبة الزكية التي هي على علم تام بما لها وما عليها ، هذا وان فضيلة مولانا شيخ الجامع حفظه الله لما اوفد لجنة الينا اختارها من خيرة العلماء المطبوعين بالعدل والفضيلة وشفعهم باخوانهم من علماء بلدنا اولى فضل وخصال جليلة وسمى على راس تلك اللجنة العلامة النحرير الدراكة الشهير الشيخ سيدي محمد المختار ابن محمود فقامت هاته اللجنة المباركة بماموريتها احسن قيام وادت ما انيط بعهدتها في بضع ايام وسيتلى على مسامعكم الشريفة اسماء الناجحين مع بيان ما احرزوا عليه من صفة الاستحسان بين الفائزين ، واليكم على وجه الاجمال كلمة من البيان فلقد دخل في هذا العام اربعة وخمسون الى الامتحان فرسب في الكتابي اربعة وقبل خمسون ، ولما اتموا بقية اعمالهم احرز على الاحسنية منهم ثلاثة وعشرون ، كما نال ايضا

مسند القضاء المالكي

الشيخ عمر المحجوب

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد البشير النيفر المفتي المالكي

[تابع لما قبله]

ما تقلبوا فيه من الخطط العلمية السامية

تقلب رجال هذا البيت في خطط علمية وجيهة منها القضاء في اقسنطينة وقضاء الانكحة وقضاء الجماعة بحاضرة تونس والفتوى بجامع التوفيق وجامع الزيتونة بالحاضرة ومنها الامامة والخطابة بجامع التوفيق وجامع الموحدين وجامع الزيتونة الاعظم ومنها التدريس بمدارس تونس منها العنقية والمنتصرية ومدرسة المعرض وكان لهم الاثر الصالح في ذلك كله رحمهم الله اجمعين

الاستحسان ثلاثة وعشرون واربعة بدون وصف الاستحسان ولكن كلهم ناجحون فستة واربعون يفوزون بالاستحسان والاحسنية ان هذا إلّا اجمل وصف وقع بالشهادة الاهلية وكفى صفاقس فخرا بهذا الفوز العظيم في بلوغ الامنية ولقد اناط فضيلة مولانا شيخ الجامع اجراء الاختبار للتنقل من سنة الى سنة بعهدة شيوخ فضلاء من علماء صفاقس فادوا ماموريتهم على احسن حال واثنوا ثناء جميلا على ما شاهدوه من الاقبال فلقد اخذ الاسرار اربعة من نحو اربعمائة تلميذ وتقدم الباقون للرقي والكمال ولذلك نقدم للسادة الشيوخ اجمل شكر باوجز عبارة في هذا المقام ونثني عليهم ثناء عاطرا لما قاموا به في هذا العام شكر الله سعيكم ايها العلماء الفضلاء الخيرة واما انتم فقد احسنتم يا معشر الطلبة النجباء البررة فتح الله عليكم وادام نعمه واحسانه اليكم . فلقد رفعتم جميعا مجد هاته البلاد وبيضتم وجوهكم في كل محفل وناد كما انى بلسان العلم واهله اقدم عاطر الثناء والشكر لهؤلاء . الفضلاء الاماجد الحاضرين الذين لبوا الدعوة الوجدانية ليتشرفوا بهذا الحفل العلمي ويشرفوا جامعهم وابناءهم بهذا الفتح المبين وعلى راس هذا الجمع ذلكم الرجل الماجد الكامل امير الامراء سيدي العامل نصر بن سعيد وانا لنرفع جميعا اكف الضراعة والابتهال الى مالك الملك ذي الجلال ان يحفظ لنا شيخنا شيخ المعهد المحترم محفوفا بالعناية والاحترام والاقبال ، في ظل ملك البلاد امير هذا القطر الرفيع العماد والكهف الاسمى والملاذ الاحمى سيدنا ومولانا محمد الامين باشا صاحب المملكة التونسية ادام الله دولته وحفظ في سماء العز سدته محفوفا بانجاله ووزرائه وءاله وجمل اعمالهم ناجحة ببركة القرءان العظيم وسر الفاتحة . محمد المهيري

وجـاهتهم في المشرق والمغرب

لرجال هذا البيت ذكر سيار في كتب التراجم وغيرها واصل هذه الوجاهة فيما يظهر امران احدهما نشر العلم بالتدريس والتآليف فقد كان كثير من علماء البلاد النائية يردون على حاضرة تونس يغترفون من بحار علمائها ويقتبسون من انوارهم ثم يرجعون الى بلادهم معهم من علم جم يرجع الفضل الى شيوخهم بتونس ناشرين من اخبارهم واحاديثهم ما يعرف بقيمتهم ومكانتهم وينشرون من مؤلفـاتهم ما يؤيد ما حدثوا به

ثانيهما الرحلة : فقد ارتحل الى المشرق من رجال هذا البت الشيـخ محمد بن عمر القلشاني « وسياتي التعريف به » واقام بمصر سنين ورجـل من بيت كهذا يقيم بمصر سنين ويقلد فيها بعض المناصب السامية لا جرم ان يكون لا سرته من الوجاهة والشهرة برحلته فوق ما يكون لاسرة اخرى اكد افرادها

رجوع الى ترجمة الشيخ عمر القلشـــاني

ولد الشيـخ ابو حفص عمر القلشاني رحمه الله بباجة تونس ليلة السبت ثاني شوال سنة ٧٧٣ واخذ عن شيوخ عصره منهم والده والشيـخ الغبريني والشيـخ الابي والشيـخ البرزلي والشيـخ ابن عرفة وحكى الرصاع في فهرسته عن صاحب الترجمة انه كان بصحبته يوما فمرا بسوق السكاجين هكذا والصواب الشكازين فقال له يا ولدي كنت احضر درس الشيـخ ابن عرفة بالمدرسة التوفيقية واقصدها من هـذه الطريق وكـنت اكـثر السهر بالليل (اي في المطالعه والنظر) فإذا مررت بأهـل السوق وهم لايزالون نائمين تمنيت ان انام ساعة مثلهم. واخذ المترجم عن الشريف الصقلي الطب وكان والـده كلما احس منه فتورا في الطلب انشده قول الشاعر

اذا احرج الـدهر حبرا نجيبـا * فكن في ابنه فاسـد الاعتقاد
فلـت ترى من نجيب نجيبا * وهـل تلـد النـار غير الرماد

يقصد رحمه الله بهذا ان يذكي نار عزيمته ، ويشحذ غرار همته ، فيحتذي اسلوب آبائه ويتشـد بنائهم بنبائه ، حتى لايكون نصيبه من المجد : اسلافي قدس الله اسرارهم ، وجعل الفردوس دارهم وهو يفرق ما جمعوا ، ويجتاح ما زرعوا .

ولنا ان صاحب الترجمة اخذ عن جماعة من شيوخ عصره وكان لابيه من العناية به وله حظا من العناية بالعلم ما تمثل لك فيما سلف فكان هذان الامران من اركان نبوغه ، وتفوقه على معظم اقرانه معما اوتي من قوة الفكر كما يشهد بهذا ما ترك في الناس من نفائس التآليف التي يعز أن ينسج على منوالها ناسج وصرح به غير واحد ممن كتب في ترجمته حتى قال في شأنه صاحب نيل الابتهاج :

الفقيه العالم الامام العلامة المحقق النظار الحجة الامام المطلق الجليل... نخبة الازمان وفريد الوقت ممن قل سماح الزمان بمثله علما وجلالة... كان رحمه الله من اكابر علماء تونس ومحققيها وحفاظهم الاجلاء. اه باختصار

وقد اخذ عنه جماعة من مشهوري اهل العلم كولده القاضي الشيخ محمد والشيخ ابراهيم الاخضري والشيخ حلولو وغيرهم ودرس الاصلين والفقه والمنطق والبلاغة وغيرها وتقلب في خطط علميه كثيرة فولي قضاء الانكحة والتدريس بالعنقية بعد موت ابيه سنة ٨٣٩ وولي الخطابة بجامع التوفيق والفتيا به بعد ارتقاء ابي القاسم القسنطيني الى الامامة والخطابة بجامع الزيتونة ثم رقي بعد وفاته الى قضاء الجماعة والامامة والخطبة والفتيا بالجامع وكان من مشهوري فقهاء عصره . وفي المازونية والمعيار النقل عنه في غير موضع .

ولما كانت سنة ٨٤٧ ظهر الوباء بتونس ونواحيها فاصيب به صاحب الترجمة فيمن اصيب وطال به المرض الى ان توفي ليلة الاربعاء (٢٤) من شهر رمضان وصلي عليه من الغد بجامع الزيتونة بعد صلاة الظهر . ودفن بالزلاج

(يتبع)